قصص غريبة
في التقمص

قصص غريبة في التقمّص

إعداد

سعد الدين محمّد غندور

المؤسسة الحديثة للكتاب
طرابلس - لبنان

الطبعة الأولى
١٩٩٣

الإهداء

إلى الباحثين عـن المعـرفـة فـي مشارق الأرض ومغاربها...

إلى المؤمنين بخلـود الروح علـى مختلف مذاهبهم ومشـاربهـم...
أقـدّم هذه القصص العجيبة.

مقدّمة

كان التقمّص، وما زال، موضوعاً يشغل حيّزاً مهمًّا من دائرة التفكير الإنسانيّ، وبعض المذاهب الدينيَّة، والتيّارات الفلسفيّة الماورائيَّة.

وقد آمن بالتقمّص بعض الشعوب منذ المصريِّين القدامى حتّى الدروز في العصر الحديث مروراً باليونانيِّين القدامى، والهندوسيِّين، والبوذيِّين، وبعض الديانات الأفريقيَّة.

ولم آتِ في كتابي هذا لأعرض موضوع التقمّص من الناحية الدينيَّة، أو الفلسفيَّة، كما أنّي لم آتِ لأبدي رأيي في حقيقة التقمّص، وما إذا كانت الروح الإنسانيّة تنتقل من إنسان إلى آخر، كما يقول القائلون بالتقمّص، أو تنتقل من إنسان إلى حيوان أو إلى نبات، كما يقول القائلون بالتناسخ، فكلّ غايتي من كتابي هذا هو أن أنقل إلى القرّاء الأعزّاء قصصاً مرويّة في التقمّص، لا أستطيع التحرّي عن صدقها أو كذبها، فنقلتها عن مصادرها، ونسّقتها في كتابي هذا.

وقد قدَّمت لهذه القصص بفصلين مختصرين، تناولتُ في الأوَّل منهما تعريف التقمّص والتناسخ والفرق بينهما، وعالجت في الثاني القول بالتقمّص عند بعض الشعوب وبعض المذاهب الدينيَّة.

وبعد، أرجو أن أكون قد وفّقت في كتابي هذا، والله الموفّق والمعين.

المؤلّف

حلب في ٢/٢/٩٣

القسم الأول :

الدراسة

الفصل الأول

التقمّص والتناسخ

١ ـ تعريف التقمّص:

التقمّص، في أبسط تعريفاته، هو انتقال روح الإنسان، بعد موته، إلى روح إنسان آخر يلد، أو هو « عودة المبدأ الروحيّ في الإنسان إلى غلاف لحميّ جديد. وهذا الغلاف يتّخذ بالنسبة للإنسان دائماً جسداً بشريًّا ».

« ويعبّر الناطقون بالانكليزية عن التقمص بعبارتي Reincarnation و Rebirth . فالعبارة الأولى تعني لغةً وبالمعنى الضيق ـ التجلي ثانية ـ لأن تفسير عبارة Incarnation « هو فعل الله عندما يجعل من نفسه بشراً وذلك بأن يجمع الطبيعة الآلهية إلى الطبيعة البشرية » أي يتجسد.

أما العبارة الثانية فهي من كلمة Birth ومعناها الولادة و Re للتكرار بحيث يصبح معناها الولادة الثانية، وقد تكون العبارة الثانية هي أقرب دلالة على التقمص من العبارة الأولى.

أما الناطقون بالفرنسية فيعبرون عن التقمّص بعبارة

Métempsychosé وقد فسرها المعجم الفرنسي لاروس، بأنها رحلة النفس من جسد إلى جسد آخر. ويضيف إلى ذلك قوله: ان العقيدة بانتقال النفس من جسد إلى جسد آخر كانت مقبولة ومتبعة عند الكثيرين من الشعوب القديمة، ثم انتقلت فلسفتها في القرون الحديثة الى شعوب متحضرة. لقد كانت هذه العقيدة موجودة عند قدماء المصريين ونقلها فيثاغور من مصر إلى اليونان»[١].

ولكنّ فئات الناس المؤمنة بالتقمّص لا تفكر جميعها تفكيراً واحداً، وان طرقهم إلى هذا الاعتقاد مختلفة بعض الاختلاف، لكن التباين يدور حول التفاصيل ولا يتعداه إلى الجوهر. من ذلك أن الدروز يعتقدون بأنّ انتقال الروح يكون فورياً وسريعاً من جسد الميت إلى جسد المخلوق الجديد وإذا كان تاريخ الوفاة لا يطابق تاريخ الولادة يفسّرون ذلك بأن الروح حلت في جسد آخر طيلة المدة التي تفصل بين الموت والولادة. ويفكر معهم في ذلك بعض قبائل البوذيين وبعض قبائل الألاسكا في حين أن غيرهم يعتقد أن النفس تهيم في فلكها الروحاني وقد تبقى طويلاً قبل رجوعها وإذا كانت قد أصبحت من الطهارة والنظافة الروحانية والكمال في درجتها القصوى أمكنها عدم الرجوع والبقاء في العالم الروحاني الأسمى[٢].

---

(١) أمين طليع: التقمّص ص ١١ - ١٢.

(١) المرجع نفسه ص ١٠.

٢ ـ تعريف التناسخ:

التناسخ، في أبسط تعريفاته، هو انتقال الروح من بدن إلى بدن آخر بعد الموت، وهذا يعني أنّ روح الميت تنتقل إلى كائن آخر أعلى أو أدنى لتنعم أو تعذّب جزاء على سلوك صاحبها الذي مات. ومعنى ذلك أنّ النفس تتناسخها أبدان مختلفة إنسانيّـة، كانت، أو حيوانيّة، أو نباتيّة.

و« الغرض من التناسخ امتحان النفس حتى تكتسب بذلك ما ينقصها من الكمال، وتصبح مجرَّدة عن التعلّق بالأبدان. وإذا قيل إنّ من مقتضيات هذه العقيدة القول بخلود النفس، قلنا: إنّ انتقال النفس من جسد إلى جسد لا يوجب خلودها اضطراراً، لأنّها قد تنتقل من بدن إلى بدن أعلى حتى تنتهي إلى العدم، أو تنتقل من بدن أدنى إلى بدن أعلى حتى تفارق جميع الأبدان، وتتّحد بحقيقة روحيّة كلّيّة تفقد معها فرديّتها »[٣].

والتناسخ، عند القائلين به، أنواع، منها:

أ ـ النسخ، وهو انتقال الروح من جسد بشريّ إلى جسد بشريّ آخر، أي إنّ النسخ هو التقمّص نفسه.

ب ـ المسخ، وهو انتقال الروح من جسد إنساني إلى حيوان، ولذلك يقال: « مُسِخ خنزيراً، أو قرداً، أو فيلاً ... ».

ج ـ الرسخ، وهو انتقال الروح من جسد إنسانيّ إلى جسم

---

(١) قيس غوش: التقمّص ص ١٨.

نباتيّ، كشجرة، أو زهرة... والرسخ أشدّ من النسخ، لأنّه «يرسخ»، أي يبقى على الأيام، ويدوم كالجبال.

د ـ الفسخ، وهو انتقال الروح من جسد إنسانيّ إلى جسد معدنيّ.

هذا، ولم يتكلّم القائلون بالتناسخ على عمليّات انتقال الروح من الحيوان إلى الإنسان، أو من النبات إلى الإنسان، أو من المعادن إلى الإنسان، أو من الحيوان إلى النبات، أو من الحيوان إلى المعادن، أو من النبات إلى المعادن، أو بالعكس، فلذلك لا نجد عندهم مصطلحات لهذه العمليّات، وربّما كانوا لا يعتقدون بها، فهم لم يهتمّوا سوى بمصير الروح الإنسانيّة بعد الموت، فهي خالدة، ولكن إلى أين تذهب، أإلى جسم إنسانيّ آخر، أم إلى غيره، أم إلى مكان آخر؟

٣ ـ الفرق بين التقمّص والتناسخ

الفرق بين التقمّص والتناسخ أنّه في التقمّص لا تنتقل الروح الإنسانيّة إلاّ من جسد إنسانيّ إلى جسد إنسانيّ آخر، أمّا في التناسخ، فتنتقل هذه الروح من الجسد الإنسانيّ، إلى جسد إنسانيّ آخر، أو إلى جسد حيوانيّ، أو نباتيّ، أو معدنيّ. فالتقمّص بالتالي، هو نوع من أنواع التناسخ الذي هو النسخ، فكل تقمّص هو تناسخ، وليس كلّ تناسخ هو تقمّص.

٤ ـ التقمّص والتناسخ في المعاجم ودوائر المعارف

لا نجد في المعاجم العربيَّة القديمة أيّ ذكر للتقمّص بمعناه الاصطلاحيّ الحديث، وتكتفي المعاجم الحديثة بالقول: تقمّصت الروح: انتقلت من جسد إلى جسد آخر على زعم بعضهم.

وجاء في المعجم الفلسفي لروني ألفا، في مادّة «التقمّص»: «التقمّص هو أن تلبس النفس جسداً بعد انقضاء حياتها في جسد آخر. والجدير بالذكر أن فيثاغورس Pythagore هو الذي أدخل هذا المصطلح إلى العالم الغربيّ. والتقمّص اليوم يشكّل جزءاً أساسيًّا من النظام الدينيّ في الهند، وخصوصاً في البوذيّة.

ويُقال «التقمّص الوجدانيّ»، وهو يدل استطيقيًّا على اندماج الشخص في عمل فنّي، وفي علم النفس يدلّ التقمّص على معرفة انفعاليّة لمشاعر الآخرين».

وفي دوائر المعارف وبعض القواميس الفلسفيّة يُكتفى، غالباً، بإثبات مادة «التناسخ»، باعتبار أنّها تشمل التقمّص، فقد جاء في «المعجم الفلسفيّ» للدكتور مراد وهبة في مادة «التناسخ»[1]:

«تناسخوا الشيء تداولوه، تناسخت الأزمنة تتابعت، التناسخ: انتقال النفس بعد الموت إلى جسم آخر نباتيّ أو حيوانيّ أو إنسانيّ. وقد قال فيثاغورس بنظريّة التناسخ، ومن المرجّح أنّه قد أخذها عن الفلسفة الهنديّة، واستعان بها أفلاطون في التدليل على

(١) وهو لم يثبت معنى التقمّص الذي نقصده في مادة التقمّص، بل شرح المعنى النفسيّ له، وخاصّةً عند فرويد.

خلود النفس. ونظريّة التناسخ وثيقة الصلة بنظريّة استقلال النفس عن البدن.

ويقول الدوانيّ شارح « هياكل النور » إنّ التناسخ ينقسم إلى نسخ (من إنسان إلى إنسان)، ومسخ (من إنسان إلى حيوان)، وفسخ (من إنسان إلى نبات)، ورسخ (من إنسان إلى جماد) ».

وجاء في موسوعة المورد العربية للأستاذ منير بعلبكي في مادة « التقمّص »[1]:

« الإيمان بأنّ النفس البشريّة تتقمّص أو تدخل، بعد موت صاحبها، جسداً آخر سواء أكان هذا الجسد جسد إنسان، أم جسد حيوان، أم جسم نبات أيضاً، وبذلك يتحقّق لها وجود جديد أو أكثر من وجود جديد في بعض الأحيان. ومن أقدم الذين قالوا بالتقمص أو التناسخ الفيلسوف اليونانيّ فيثاغورس، وبعض الفرق النصرانيّة المهرطقة. وقد قال بالتناسخ عدد غير قليل من الأديان الشرقيّة، وبخاصّة الهندوسيّة Hinduism حيث اعتُبر ذلك تطبيقاً عادلاً لقانون الثواب والعقاب. ومن الأديان الشرقية التي تقول بالتناسخ أيضاً الديانة السِّيخيَّة، وهي تزعم أنَّ الأرواح المتناسخة تفنى، بعد يوم الحساب، في الذات الإلهيّة ».

وجاء في الموسوعة العربيّة الميسَّرة، مادة « تناسخ الأرواح » ما يلي:

---

(١) وهو أثبت مادة التناسخ وأحال إلى مادة التقمّص دون أن يميّز بينهما وهذا خطأ.

«انتقال الروح من جسد إلى آخر، وقد يكون جسداً لإنسان أو لحيوان. وهو اعتقاد شاع في ثقافات كثيرة. وتعيين الجسد الذي تحلّ فيه ثانية رهن بسلوكها في حياتها الأولى».

وجاء في دائرة المعارفة «لاروس» (Encyclopédie Larousse) في مادّة «Metempsychose» ما يلي:

Réincarnation de l'âme après la mort dans un corps humain, ou dans celui d'un animal ou dans un végétal. (Certains peuples ont fait de la métempsychose une croyance fondamentale. Les anciens Egyptiens, les Hindous).

وترجمتها:

التقمّص هو انتقال الروح، بعد الموت، إلى جسد إنسانيّ، أو إلى جسد حيوانيّ، أو إلى جسد نباتيّ (وبعض الشعوب جعلت من التناسخ معتقداً أساسيًّا، كما عند قدامى المصريّين والهنود).

وقد أسهب محمد فريد وجدي، وكان مشغوفاً بالدراسات الروحيّة، في تفصيل القول في التناسخ[1]، فجاء في موسوعته «دائرة معارف القرن العشرين» ما يلي:

«هو مذهب لبعض الأديان، مؤدّاه أنّ الروح بعد مفارقتها للأبدان تعود إلى أبدان أخرى حيوانيّة، أو إنسانيّة لتتمّ تكمّلها، وتستأهل الحياة بين الأرواح العالية في حظيرة القدس، ونحن نورد ما كان يفهمه علماء المسلمين في هذا المذهب، ثم نردفه بما يقوله العلماء المحدثون؛ فإنّ للتناسخ اليوم أشياعاً من بعض

(١) لم يُثبت مادة «التقمّص» بالمفهوم الذي نعنيه.

البحاثين في أوروبا. قال العلامة ابن حزم:

« افترق القائلون بتناسخ الأرواح على فرقتين، فذهبت الفرقة الواحدة إلى أنّ الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخر، وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت. وهذا قول أحمد بن حايط، وأحمد بن نانوس تلميذه، وأبي مسلم الخراساني، ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب، صرّح بذلك في كتابه الموسوم بالعلم الإلٰهي، وهو قول القرامطة: وقال الرازي في بعض كتبه: لولا أنّه لا سبيل إلى تخليص الأرواح على الأجساد المتصوّرة بالصور البهيميّة إلى الأجساد المتصوّرة بصور الإنسان إلاّ بالقتل والذبح لما جاز ذبح شيء من الحيوان ألبتّة.

قال أبو محمد (رضي): وهذه، كما ترى، دعاوي وخرافات بلا دليل، وذهب هؤلاء إلى أنّ التناسخ إنّما هو على سبيل العقاب والثواب، قالوا: فالفاسق المسيء الأعمال تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة في الأقذار والمسخرة لا خير فيها، فقال بعضهم: أرواح هذه الطبقة هي الشياطين. قال أحمد بن حايط: إنّها تنتقل إلى جهنّم، فتعذّب بالنار أبد الأبد». واختلفوا في الذي كانت أفاعيله كلّها خيراً لا شرّ فيها، فقال بعضهم: أرواح هذه الطبقة هي الملائكة.

وقال أحمد بن حايط: إنّها لا شكّ تنقل إلى الجنّة لتنعم فيها أبد الأبد.

واحتجّت هذه الطائفة المرتسمة بالإسلام، أعني أحمد بن

حايط وأحمد بن نانوس بقول الله تعالى: ﴿يا أيّها الإنْسَانُ ما غرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ الذي خَلَقَك فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ في أيِّ صُورَةٍ ما شاءَ رَكَّبَك﴾[1].

وبقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ومِنَ الأنْعَامِ أزواجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾[2]. واحتجّ من هذه الطائفة من لا يقولون بالإسلام بأن يقولوا: إنّ النفس لا تتناهى، والعالم لا يتناهى لأمد، فالنفس منتقلة أبداً، وليس انتقالها إلى نوعها بأولى من انتقالها إلى غير نوعها.

قال أبو محمد: وذهبت الفرقة الثانية إلى أن منعت من انتقال الأرواح إلى غير أنواع أجسادها التي فارقت، وليس من هذه الفرقة أحد يقول بشيء من الشرائع، وهم من الدهريّة، وحجّتهم هي حجّة الطائفة التي ذكرنا قبلها القائلة أنّه لا تناهي للعالم، فوجب أن تتردّد النفس في الأجساد أبداً. قالوا: ولا يجوز أن تنتقل إلى غير النوع الذي أوجب لها طبعاً الإشراف عليه وتعلّقها به.

قال أبو محمد: أمّا الفرقة المرتسمة من الإسلام فيكفي من الردّ عليهم إجماع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أنّ من قال بقولهم فإنّه على غير الإسلام، وأنّ النبيّ (ﷺ) أتى بغير هذا، وبما المسلمون مجمعون عليه من أنّ الجزاء لا يقع إلاّ بعد فراق

---

(١) الانفطار: ٦ - ٨.

(١) الشورى: ١١.

الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعّم قبل يوم القيامة، ثم بالجنّة أو بالنار في موقف الحشر فقط، إذا جمعت أجسادها من أرواحها التي كانت فيها، وأمّا احتجاجهم بالآيتين فكفى من بطلان قولهم أيضاً ما ذكرناه من الإجماع، وأنّ الأمّة كلّها مجمعون، بلا خلاف، على أنّ المراد بهاتين الآيتين غير ما ذكر هؤلاء الملحدون، وأنّ المراد بقوله تعالى: ﴿في أيّ صورة ما شاء رَكّبَكَ﴾[1] أنّها الصورة التي ركّب الإنسان عليها من طول، أو قصر، أو حسن، أو قبيح، أو بياض، أو سواد، وما أشبه ذلك. وأمّا الآية الأخرى فإنّ معناها أنّ الله تعالى امتنّ علينا في أن خلق لنا من أنفسنا أزواجاً نتولّد منها، ثم امتنّ علينا بأن خلق لنا الأنعام ثمانية أزواج، ثم أخبر تعالى أنّه يَرْزؤنا في هذه الأزواج، يعني التي هي من أنفسنا، فبيّن ذلك بياناً ظاهراً لا خفاء به، وأنّ الله تعالى أخبرنا في هذه الآية نفسها أنّ الأزواج المخلوقة لنا إنّما هي من أنفسنا، ثم فرّق بين أنفسنا وبين الأنعام، فلا سبيل إلى أن يكون لنا أزواج نتولّد فيها من غير أنفسنا، ويكفي من هذا أنّ قولهم إنّما هو دعوى بلا برهان، وإنّما رتّبوه على أصلهم في العدل، فأخرجوا هذا الوجه لما شاهدوه من إيلام الحيوان، وكلّ قول لم يوجبه برهان فهو باطل، ولم يأتِ هذا القول قطّ عن أحد من الأنبياء، وهؤلاء القوم مقرّون بالأنبياء عليهم السلام فلاح يقيناً فساد قولهم. وأمّا الفرقة الثانية القائلة بالدهر، فإنّنا نقول، وبالله التوفيق:

---

(١) الانفطار: ٨.

«إنّه يكفي من فساد قولهم هذا أنّه دعوى بلا برهان لا عقليّ، ولا حسّيّ، وما كان هكذا فهو باطل بيقين لا شكّ فيه، لكنّنا لا نقنع بهذا بل نبيّن عليهم بياناً لائحاً ضرورياً بحول الله تعالى وقوّته نقول، وبالله تعالى نستعين: إنّ الله تعالى خلق الأنواع، والأجناس، ورتّب الأنواع تحت الأجناس، وفصل كلّ نوع من النوع الآخر بفصله الخاص له الذي لا يشارك فيه غيره. وهذه الفصول المذكورة لأنواع الحيوان إنّما هي لأنفسها التي هي أرواحها، فنفس الإنسان حيّة ناطقة، ونفس الحيوان حيّة غير ناطقة، هذا هو طبيعة كلّ نفس وجوهرها الذي لا يمكن استحالته عنه، فلا سبيل إلى أن يصير غير الناطق ناطقاً، ولا الناطق غير ناطق، ولو جاز هذا لبطلت المشاهدات، وما أوجبه الحسّ، وبديهة العقل والضرورة لانقسام الأشياء على حدودها.

وأمّا الفرقة الثالثة التي قالت إن الأرواح تنتقل إلى أجساد نوعها فيبطل قولهم بحول الله تعالى وقوّته بطلاناً ضرورياً بكلّ ما كتبناه في إثبات حدوث العالم، ووجوب الابتداء له والنهاية من أوّله، وبما كتبناه في إثبات النبوّة وأنّ جميع النبوّات وردت بخلاف قولهم، وببرهان ضروريّ، وهو أنّه ليس في العالم كلّه شيئان يشتبهان بجميع أعراضهما اشتباهاً تامّاً من كل وجه يعلم هذا من تدبّرَ اختلاف الصور واختلاف الهيئات، وتباين الأخلاق، وإنّما يقال هذا الشيء يشبه هذا على معنى أنّ ذلك في أكثر أحوالهما في كليهما، ولو لم يكن ما قلنا ما فرّقَ أحد بينهما ألبتّة.

وقد علمنا بالمشاهدة كلّ من يتكرّر عليه ذانك الشيئان المشتبهان تكرّراً كثيراً متصلاً أنّه لا بدّ أن يفصل بينهما، وأن يميّز أحدهما من الثاني، وأن يجد في كل واحد منهما أشياء بأنّ بها عن الآخر لا يشبهه فيها، فصحّ بهذا أنّه لا سبيل إلى وجود شخصين يتّفقان في أخلاقهما كلّها حتى لا يكون بينهما فرق في شيء منها، وقد علمنا بيقين أنّ الأخلاق محمولة في النفس، فصحّ بهذا أنّ نفس كلّ ذي نفس من الأجساد، من أيّ نوع كانت غير النفس التي في غيره من الأجساد كلّها ضرورة. وقال أيضاً بعض من ذهب إلى التناسخ من الحاملين ذلك على سبيل الجزاء أنّ الله تعالى عدل حكيم، رحيم كريم، فإذ هو كذلك فمحال أن يعذّب من لا ذنب له، قال: فلمّا وجدناه تعالى يقطع أجسام الصبيان الذين لا ذنب لهم بالجدري والقروح، ويأمر بذبح بعض الحيوان الذي لا ذنب له، وبطبخه وأكله، ويسلّط بعضها على بعض، فيقطعه ويأكله، ولا ذنب له، علمنا أنّه تعالى لم يفعل ذلك إلاّ وقد كانت الأرواح عصاة مستحقّة للعقاب بكسب هذه الأجساد لتعذّب فيها.

قال أبو محمد: وقد تكلّمنا على إبطال هذا الأصل الفاسد في غير هذا المكان، في باب الكلام على البراهمة في كتابنا هذا بما يكفي، وقد رددنا الكلام أيضاً في بيان بطلانه في غير ما موضع من كتابنا، وفي باب الكلام على من أبطل بقدر من المعتزلة في كتابنا هذا والحمد لله ربّ العالمين. ويكفي من بطلان هذا الأصل الفاسد أن يقال لهم: إن طردتم هذا الأصل وقعتم في مثل

ما أنكرتم، ولا فرق، وهو أنّ الحكيم العدل الرحيم على أصلكم لا يخلق من يعرّضه للمعصية حتى يحتاج إلى إفساده بالعذاب بعد إصلاحه، وقد كان قادراً على أن يظهر كلّ نفس خلقها، ولا يعرّضها للفتن، ويلطف بها إلطافاً فيصحّها بها حتى تستحقّ كلّها إحسانه والخلود في النعيم، وما كان ذلك ينقص شيئاً من ملكه، فإن كان عاجزاً عن ذلك فهذه صفة نقص، ويلزم حاملها أن يكون من أجل نقصه محدثاً مخلوقاً، فإن طردوا هذا الأصل خرجوا إلى قول المانويّة أنّ للأشياء فاعلين، وقد تقدّم إبطالنا لقولهم، وبالله التوفيق.

وبيّنّا أنّ الذي لا آمر فوقه، ولا مرتب عليه فإنّ كلّ ما يفعله فهو حقّ وحكمة، وإذ قد تعلّق هؤلاء القوم بالشريعة فحكم الشريعة أنّ كلّ قول لم يأتِ عن نبيّ تلك الشريعة فهو كذب وفرية، فأمّا لم يأتِ عن أحد من الأنبياء عليهم السلام القول بتناسخ الأرواح فقد صار قولهم خرافة وكذباً وباطلاً، وبالله التوفيق.

مذهب التناسخ في أوروبا:

لمذهب التناسخ اليوم في أوروبا دولة قامت على دعائم مذهب استحضار الأرواح الذي انتشر فيها انتشاراً عظيماً. وقد كان سألنا أحد الأفاضل سؤالاً يتعلّق بهذا الموضوع فأجبنا عليه في مجلّتنا (الحياة) فنرى أن نعيد نشر السؤال، والجواب في هذا الباب لما فيه من الفائدة.

جاء في مجلّة الحياة صحيفة ٤٩٣ من المجلّد الخامس ما يأتي: قرأت كلمة الحياة الواردة بالجزء الثامن من المجلّد الخامس في تفنيد ما يذهب إليه مسيو سنكس البحاث الشهير هو والطائفة التي ينسب إليها من رجعة الأرواح إلى الأرض، وكنت قد قرأت لكاتب من كتّاب الإنجليز كلاماً في هذا المذهب في كتاب له منقول إلى الفرنساويّة اسمه: « الجانب الآخر من الموت » وخلاصته: أنّه لا بدّ لكلّ روح من العودة إلى الأرض بعد مفارقة الجسد مراراً لا تحصى، وأنّها في كلّ رجعة تكون أحسن حالاً منها في المرّة السابقة. وفي لهجة الرجل ما يدلّ على إيمانه المطلق هو وطائفته بهذا الرأي. وقد سرد بعض أمور معيّنة في رجعة الأرواح، جاء بها في معرض البرهنة على صحّة هذا الزعم، ويقول: إنّها أدلّة قاطعة حصلوا عليها بما أوتوه اكتساباً من القدرة على مخالطة الأرواح، وإدراك أسرار العالم الروحانيّ، وأصحاب هذه العقيدة يعرفون بالتيوزفيين، وبينهم وبين جماعة الإسبرتيين، وهم القائلون باستحضار الأرواح، خلاف شديد على مذهب الرجعة. فالإسبرتيون لا يصدّقون به، والتيوزفيون يقولون إنّ الاسبرتيّين لا يعرفون من شؤون العالم الروحاني غير القشور، ويرون أنّ أعمال الإسبرتيين مضرّة بالأرواح لأنّها تطيل زمن تعلّقها بالأرض بعد مفارقة الأجساد، فتعترض بذلك سبيل تقدّمها ورقيّها.

ولا أنكر أنّي كدت أركن قليلاً إلى ذلك المذهب الذي نحن بصدده، فإنّ فيه تعليلاً لما نراه من هلاك الأطفال دون أن

يبلغوا من دنياهم وطراً أو يدركوا لأنفسهم فيها وجوداً. وكذلك ما نشاهد من التفاوت الهائل في أحوال الناس من شقاء وسعادة.

إنّ الروح في كلّ رجعة تكون أحسن حظّاً من سابقتها، فتأخذ بذلك نصيبها من الحياة الطيّبة. وبذا تنحلّ أكبر المعضلات التي تبدو لنا من وراء هذا التباين المزعج في أحوال الناس لغير سبب معلوم، ولقد طالما حدثت النفس باستنزالي حكمكم الصائب في هذا الموضوع الجليل، وبقيت زمناً أقدّم رجلاً، وأؤخّر أخرى حتى كان حديث مسيو سنكس وعدكم هذا الرأي من جهات الضعف فيه، فاقترحتها وأنا على يقين من أنّ قرّاء الحياة الأفاضل يطيب لهم إشباع القول في بيان ذاك المذهب مع الإشارة إلى وجه مخالفته لما جاء به الدين الحنيف.

فقد كان ظنّي قبل تعليقكم على بحث مسيو سنكس أنّ الإسلام يسع مثل هذا المذهب، وأنّ في آيات الكتاب الكريم ما يشير إليه إن لم يكن يثبته إثباتاً.

ثمّ إنّ بين إخواننا كتّاب المسلمين من لا يرى بأساً بهذه المقالة، وربّما حسبوا أنّ الكفاية لكشف النقاب عن كثير من الأمور التي غابت عنا أسبابها، وعجزت مشاعرنا القاصرة عن النفوذ في أسرارها. زد على هذا أنّ لبعض متصوّفة المسلمين كلاماً لا يكاد يعدو ذاك المذهب في شيء من جوهره، من أجل ذلك أصبح ممّا لا بدّ منه اللجوء إلى معارفكم الواسعة للحصول على القول الفصل في هذا المشكل. فإنكم خير من يرجى، وعسى

أن لا نحرم من قراءة الجواب في العدد الآتي من الحياة، أبقاكم الله على هدى للإسلام وبنيه، وجزاكم عنّا خير الجزاء.

محمد عبيد بالقرشية.

جوابنا على هذا السؤال:

نشرنا خطاب حضرة الفاضل الألمعي محمد أفندي عبيد برمّته لما فيه من الفائدة في ذات الموضوع الذي يسائلنا فيه، وإنّا لمجيبو حضرته، فنقول:

الباحثون في المسائل الروحيّة في أوروبا قسمان:

١ ـ قسم العامة، وأريد بالعامّة من ليس لهم اختصاص في علم من العلوم، وهم يسارعون إلى بناء المذاهب على نظريّات يقوم الدليل عليها في نظرهم، وهؤلاء منهم التيوزوف والإسبريت، وغيرهم، ولهم في عالم الآخرة وأحوال الموتى وانتقالاتهم مباحث استغرقت أسفاراً، وهي لا تنتهي ولن تنتهي عند حدّ.

٢ ـ قسم العلماء، وهم لا يأبهون من هذه المباحث إلاّ بما يثبت وجود عامل روحانيّ عاقل بغير المادّة، مهتمّين إن كان هو روح ميت أو كائناً آخر من الكائنات غير المنظورة، وإن كان جمهوراً غفيراً من علّيّتهم، قطعوا بأنّ تلك الكائنات العاقلة هي أرواح الموتى.

هؤلاء العلماء لا يأبهون ببناء المذاهب في حالة الروح بعد الموت على الظنون أو بناء على أخبار بعض تلك الكائنات لأنهم

يرون أنّ الأمر من الخطورة والجلال بمكان لا يصحّ معه بتّ أمر فيه قبل بلوغ أبعد الغايات منه. فهم يكتفون بإثبات تلك القوّة العاقلة، ولا يزالون يبحثون في مبلغ قدرتها، ودرجة معلوماتها، ووسائل وجودها، ولديهم أنّ هذه الأمور هي أهمّ ما في هذا الموضوع.

المذاهب القائمة على مبدأ مناجاة الأرواح:

أشهر هذه المذاهب مذهب التيوزفيين ومذهب الاسبرتيّين، وقد اتّفقت جماهير منهما على القول برجعة من لم يستأهل الحياة في العالم العلويّ من الموتى إلى الأرض ليتطهّروا فيها.

قال ألان كاردك مؤسّس مذهب الاسبريتيّين:

« يدفع بعض الناس مذهب الرجعة بحجّة أنه لم يوافق أهواءهم قائلين إنّهم تكفيهم حياة واحدة وأنّهم يميلون إلى العودة إليها. ونعرف من هؤلاء من تثيرهم فكرة الرجعة فتجعلهم يتقزّزون من الغضب » الخ الخ.

ثم أخذ يبرهن على أنّ من الأحياء الموجودين على سطح الأرض من وردوا إليها مراراً. ثم وضع المسائل الآتية:

(١) ما العلة في أنّ بعض الأرواح تظهر فيها ميول متخالفة ومستقلّة كلّ الاستقلال عن الأصول المتحصّلة بالتربية؟

(٢) من أين يجيء ذلك الميل الغريب لدى بعض الأطفال إلى صناعة من الصنائع أو علم من العلوم بينما يبقى غيرهم في

حالة دنيا أو وسطى طول حياتهم؟

(٣) من أين يأتي لبعض الناس أفكار وجدانيّة لا توجد عند سواهم؟

(٤) من أين تحصل لبعض الأطفال تلك الميول السابقة لأوانها إلى رذائل أو فضائل، وتلك العواطف الذاتية إلى كمالات أو نقائص يخالفون بها البيئة التي نشأوا فيها؟

(٥) لماذا تجد الناس ـ بعد تجريد التربية ـ بعضهم أكثر رقيّاً من البعض الآخر؟

(٦) لماذا يوجد على الأرض متوحّشون ومتمدّنون؟ إذا أخذت طفلاً هو تانتوتوتيا من لدن فطامه وربّيته في أرقى مدارسنا وأشهرها، فهل يمكن أن توجد منه رجلاً مثل (لابلاس) و(نيوتن).

«لنسأل الآن قائلين: أيّ فلسفة أو أي تيوزوفيا تستطيع أن تحلّ هذه المسائل؟ إمّا أن تكون الأرواح ولدت متساوية أو غير متساوية. هذا أمر لا شكّ فيه. فإنْ كانت ولدت متساوية فلماذا تظهر منها هذه الميول المتخالفة غاية التخالف؟ يقولون ذلك تابع لحالة التركيب الجسديّ، نقول: إنّ هذا المذهب هو أقبح المذاهب وأبعدها عن الأدب فإن الإنسان في زعمه لا يكون إلاّ كالآلة الصماء أو الألعوبة في يد المادة، ولا تبعة عليه من أعماله. وإذا كانت النفوس غير متساوية فيكون الله قد فطرها على ذلك، ولكن لماذا فطرها غير متساوية؟ هل هذه المحاباة توافق ناموس

العدل وتتفق مع الحب العادل الذي يتّصف به الله إزاء جميع مخلوقاته ؟ »

هذه أقوى حجج القائلين بالرجعة، وقد تساوّى فيها التيوزوف والإسبريت من أهل القسم الأوّل، أي من قسم العامّة، ولكنّ بعض المحقّقين من العلماء رفضوا القول بهذه العقيدة مستندين على براهين يرونها قاطعة. قال البارون دوجولدنستوب كما ورد في المجلد ٤٤ من المجلّة الروحيّة (ص ٤١٨):

« إنّ الأرواح العالية التي تظهر في أوروبا وأمريكا في أيامنا هذه تدحض على وجه عامّ عقيدة الرجعيّة، وإنّ تاريخ المحلاّت المسكونة بالأرواح المعذّبة (وهي المحلاّت التي نقول عنها نحن في مصر « معفرتة ») التي تطالبنا إمّا بالدّعاء، أو بإصلاح ما أفسدته في حياتها الأرضيّة لهي دليل أعلى على إملاءات الوسطاء المتشبّعين بعقيدة ألان كاردك في فرنسا ».

وقال البحّاثة أندريه بيزاني، كما جاء في المجلّد المذكور من المجلة الروحيّة، وهو مؤلّف كتاب « تعدّد وجودات الروح »، قال:

« أنا أرفض كلّ تعليم يقول بالتناسخ، فيربط الروح أبديًّا بأجساد إنسانيّة تتجدّد إلى ما لا نهاية ».

ولمّا سُئل هودسن توتل الروحاني الأمريكيّ الكبير عن عقيدة الرجعة، أجاب بعد كلام طويل:

« المذهب الروحانيّ لا يناقض عقيدة الرجعة فقط، ولكنّه

يصبح ممّا لا يمكن قبوله مع هذه العقيدة، لأنّها تهدم أساسه الذي قام عليه إذ تقضي أن يكون من المحال مخاطبة أرواح الموتى».

وقال الفيلسوف فيلادلفيا شارل داروبارن:

«إنّ عدداً من الروحانيّين الأوروبيّين يعتقدون بنظريّة الرجعة على ما قرّره ألان كاردك، على العكس من الروحانيّين الأمريكانيّين المتمتّعين بمواهب روحانيّة عالية، يعتبرون نظريّة الرجعة حقيقة قائمة على قواميس طبيعيّة، كما يعتبرها الفرنسيّون، ثمّ قال:

«إذا كان جميع الأرواح التي تظهر للأحياء متّحدة على مقتضى المعلومات التي حصّلتها بأنّ الرجعة حقيقة كان هناك وجه لبحث هذه المسألة الطبيعيّة وتمحيصها. ولكنّنا إذا علمنا أنّ جمهور الوسطاء من الأمريكيّين يناقضون إخوانهم الأوروبيّين في هذه العقيدة فمن العقل أن نتجاهل ما يقوله كلا الفريقين، ويحسن بالباحث المتبصّر أن يؤسّس عقيدته على المشاهدات التي تحت يده وحصل عليها في مدى حياته الأرضيّة» انتهى.

هذا موجز مما يمكن أن يقال في مسألة رجعة الموتى إلى الأرض، وقد رأيت أنّ الخلاف شديد فيها بين الآخذين بمذهب استحضار الأرواح أنفسهم، وأن ليس لدى العلماء الذين يعوّل عليهم دليل حسّيّ على صحّة هذه العقيدة. فهي والحالة هذه لا تزال في حيّز الظنون.

ولمّا كنّا بإكثارنا من الكلام على مباحث ما وراء المادّة لا نرمي إلاّ إلى غرض واحد وهو وقف الشرقيّين على أدوار حركة روحانيّة عظيمة قامت في بلاد المدنيّة لإثبات وجود الروح علميًّا، وأن الفلسفة الحسّيّة قد أثبتت وجودها إثباتاً لا يحتمل النقض، فنرى أنه لا يحسن بنا أن نطوح بالقرّاء إلى عالم الظنون والأوهام التي يشغل عامة الأوروبيّين أوقاتهم بالجدال فيها. ومن أمثال النظريّات الكثيرة التي يقرّرونها في أحوال الروح وحالاتها بعد الموت ورجوعها أو عدم رجوعها إلى الأرض ذلك كلّه نراه خارجاً عن مجال بحثنا ولا يتفق مع الروح العلميّة الخالصة.

فنحن نودّ أن نتبع خطوات رجال العلم الطبيعيّين الذين يبحثون في هذا الموضوع، فهم وحدهم الذين يمكن الاعتماد على آرائهم ولذلك نكثر من نقل أقوالهم، ونهمل أقوال سواهم من سائر الكتّاب والباحثين.

الإسلام وعقيدة الرجعة

عقيدة رجعة الأرواح قديمة نشأت في الهند والصين، ولا تزال موجودة لديهم، وربما كتبنا في ذلك فصلاً في الجزء القادم إن شاء الله، ولم يقل بها في الإسلام إلاّ فرقة التناسخيّة وهم لم يأخذوها من القرآن الكريم، ولكنهم نقلوها عن الهنود مع ما نقله العرب من فلسفتهم. أمّا القرآن فيشير في آيات كثيرة إلى بطلانها منها قوله تعالى حكاية عن الكافرين: ﴿فأرجعنا نعمل صالحاً﴾[1]

---

(١) السجدة: ١٢.

قال ذلك في معرض استحالة رجوعهم إلى الأرض بل ردّ عليهم بقوله: ﴿أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾[2] يقول أولم نوجدكم فيها عمراً يكفي لأن يتذكّر فيه من أراد أن يتذكّر، وجاءكم من الرسل من أنذركم بهذه الحال.

انتهى هنا ما نقلنا، من دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي.

---

(٢) فاطر: ٣٧.

الفصل الثاني :

التقمّص عبر التاريخ

١ ـ التقمّص عند قدماء المصريين

تعتبر الحضارة المصريّة إحدى أقدم وأعرق الحضارات، فقد كانت غنيّة بعلمائها وفلاسفتها، ومن بينهم « فتاح » الذي اشتهر بحكمته وفلسفته حتى ألّهه شعبه، وأقاموا له هيكلاً في « ممفيس » وعبدوه بعد موته. وقد توافد إلى هذا الهيكل الكثير من العظماء، ومنهم الإسكندر المقدوني الكبير عندما دخل مصر غازياً وانحنى أمام تمثاله.

كما إنّها غنية « بأمحوتب » الذي بنى الهرم المدرّج في « هليوبولس » قرب القاهرة. وهو الذي أطلق عليه اليونانيون فيما بعد لقب « هرمس الهرامسة » وهو نفسه « إدريس الفران ».

كذلك كانت غنيّة بأمحوتب وغيره من الحكماء والفلاسفة الذين أصبحوا آلهة بنظر قومهم فعبدوهم، وقد أخذ عنهم الفلسفة والتقمّص كلٌّ من « فيثاغورس » و« أفلاطون »، فقد زارا مصر وأقاما في هياكلها الفرعونيّة؛ كذلك « أفلوطين » الذي ولد في

مصر، وغيرهم من الفلاسفة والحكماء، فنقلوا العلوم الفرعونية إلى اليونان.

في الماضي السحيق وصلت مصر إلى قمّة المدنيّة والرقيّ، فالإنجازات التي قامت بها في ذلك الحين تشهد على ذلك وما زالت باقية حتى اليوم، ومنها الهرم الكبير الذي تعجز المدنيّة العالميّة الحاليّة عن بناء مثله، رغم تقدم التقنيّة والآلات الحديثة الجبّارة.

هذا بالإضافة إلى الفنّ المعماريّ والنحت والهندسة، كذلك في علم الرياضيات والكيمياء. وقد اعتنوا بالحكمة والفلسفة حتى توصّلوا إلى مبدأ التقمّص.

ولم يُؤلّه المصريون القدامى ملوكهم وفراعنتهم، بل ألّهوا علماءهم وحكماءهم وفي مقدمتهم «أمحوتب» الذي مرّ ذكره، تلك الشخصيّة الفذّة التي جمعت الطبّ والهندسة؛ كما كان كبير مستشاري الملك «زوس» الذي حكم في حوالى ٣١٥٠ سنة قبل المسيح، فقد برع في الطب حتى جعل منه قومه إلّهاً للعلم وعبدوه. ويقال في التاريخ المصريّ القديم، إنه أوّل من بنى بيتاً بالحجر وهو من صمّم قبر الملك «زوس» وهيكله الشهير، كما نحت تمثاله ذا النظرات الحادّة، الثاقبة التي تنمّ عن الحكمة والذكاء.

إنّ أول من اعتقد بخلود الروح والعودة إلى الحياة، هم المصريّون، إذ قالوا بعودة الروح إلى الجسد، وأن الموت ليس

أكثر من مرحلة رُقاد في القبر؛ ومن هنا كانوا يجهدون في إبقاء أجساد ملوكهم وعظمائهم سليمة. وفي هذا المجال برعوا في فنّ التحنيط حتى أبقوا بعض الأجساد سليمة لآلاف السنين، مما ساعد على ترسيخ نظريّة الخلود، وكانوا يعتقدون بأنّ الإله « أوزيس » قد تقمّص جسد عجل، وفي أيامنا هذه من يعتقد بأنّه العجل العبرانيّ.

ولم تُبْنَ الأهرامات العظيمة، لغرض فنّيّ معماريّ أو هندسيّ بل لغرض دينيّ. إذ إنّ المصريّين القدماء كانوا يعتقدون أنّ في كلّ جسم حيّ قرينة تستقر وتأوي إليه كما يأوي الطير إلى مهجعه. أمّا القرينة ففي رأيهم صورة مُصغّرة عن الجسم نفسه، وأنّ هذه القرينة لا تموت حتماً بموت الجسد الذي تأوي إليه، بل من الممكن بقاؤها حيّة ما دام هذا الجسد سليماً لم يطله البلى والتفتّت. وفي هذا السبيل وكوسيلة لذلك بنوا الأهرامات حيث توضع الأجسام فيصعب الوصول إليها لعلوّها وضخامتها وفي مجال الحيطة كانوا يضعون الميت في توابيت حجريّة من الصعب فتحها والعبث بما في داخلها، علماً بأنهم كانوا يلجأون إلى التحنيط الذي برعوا فيه مما يُساعد على حفظ الجسد، وبالتالي بقاء القرينة، ومن معتقداتهم أن القرينة بحاجة إلى الطّعام والكساء وبعض الخدمات لتبقى حيّة بعد موت الجسد، مما يفسّر وجود دورات المياه في مقابر الملوك لتنتفع بها الروح بعد موت الجسد.

كما وُجدت نصوص تُبدي تخوّفاً من أن تأكل القرينة الجسد

فيما إذا جاعت، من هنا كان على الأهل وضع الطعام داخل القبور أو بقربها.

وقد ذهب المصريّون في هذا المجال إلى أبعد من ذلك، فكانوا يضعون زوجات ملوكهم وخدمهم في نفس المقبرة لتلبية حاجاتهم، هذا، بالإضافة إلى أسلحتهم ومجوهراتهم وكل ما كانوا يستعملونه في حياتهم.

وقد استعاض البعض الآخر عن الحقيقة بالخيال، فنحتوا التماثيل للخدم والحشم والعربات وما إلى ذلك من المستلزمات لخدمة روح الملك أو قرينته.

٢ ـ التحنيط:

كان التحنيط يقتضي استخراج المخّ من الأنف بقضيب معدني له شكل خطاف، ثم يفتحون الخاصرة من حيث يخرجون الأحشاء وكل ما يحتويه البطن، ثم يغسلون الجسد وتجويفاته وينظفونه بنبيذ النخل، ثم يضعون في التجويف العطور المسحوقة ممزوجة بالمرّ والأعشاب العطريّة، قبل خياطته، ثم يغمرونه بمحلول النطرون وهو مادة كيماويّة تُعرف حالياً تحت اسم «سليكات الصوديوم والألمنيوم»، حيث يبقونه سبعين يوماً، ومن بعدها يغسلونه ويلفّونه بأحزمة من القماش المشمّع، ثم يغطّون القماش بمادة صمغيّة ثم يصنعون تابوتاً حجريّاً منحوتاً على شكل الجسد ومقاسه يضعونه فيه ويحكمون إغلاقه ونقله إلى مدفنه الحجريّ حيث يبقونه واقفاً.

وقد اعتقد المصريون بالنسخ والفسخ والرسخ:

النسخ: هو انتقال الروح من جسد بشريّ، إلى جسد بشريّ آخر.

الفسخ: هو الانتقال من جسم بشريّ إلى جسم حيوان؛ وعند البعض إلى نبات.

الرسخ: أما الرسخ فهو تحوّل النفس البشريّة الشّريرة إلى جماد.

ومن مفهوم الرسخ لدى المصريّين من تحوّل النفس الشّريرة إلى جماد، يُستنتج بأنهم لم يعتقدوا بالحساب والدينونة، وإلاّ لما اعتقدوا بالرسخ، الذي يحكم على هذه النفس بالإعدام منذ موت صاحبها، إذ إن تحوّل النفس إلى جماد يعني خروجها من الحياة إلى العدم.

إلا أن من اعتنق معتقداتهم لم يأخذ بالرسخ فزال الاعتقاد به، عكس الاعتقاد بالفسخ الذي بقي سائداً في معتقدات بعض بلاد الشرق الأقصى.

وقد ورد في بعض النصوص والكتابات المصريّة القديمة، ما يفيد بأنهم أقدم من كان لهم معتقدات دينيّة أو روحيّة. فكانوا يؤمنون بأن ثمّة حياة ثانية للإنسان في عوالم أُخرى، وأنّ الروح تبقى حيّة حتى تعود إلى جسدها في الوقت اللاّزم لتستأنف الحياة الثانية، وكان في زعمهم أنّ على النفس أن تقضي ثلاثة آلاف سنة قبل أن تعود إلى الحياة الثانية.

ومن معتقداتهم القديمة أنّ الروح البشريّة لا تقضي هذه المدة الطويلة في ثبات وفراغ تامّ، إنما تستفيد منها بدراسة العديد من أسرار الحياة والنشاطات التي يزخر بها عالم الحيوان، بعد أن تكون قد ألمّت بما يختصّ منها بعالم الإنسان. ومن أجل ذلك كانت تتجسّد في أجنّة ما تختاره من الحيوانات.

ولم يكن في نظرهم، التجسد بشكل حيوان، نوعاً من أنواع الثواب أو العقاب، إنّما الثواب والعقاب يكون في الحياة الثانية، يوم يمثل العائد أمام الآلهة لتحكم له أو عليه.

وبعد أن تحصل الروح على ما كانت تريده خلال رحلة المعرفة والعلم تعود إلى جسدها البشريّ لتحلّ فيه، وتستأنف حياتها الثانية في العالم الآخر، فإذا لم تجده لسبب من الأسباب كأن يكون قد تحلّل أو خلافه، انصرفت إلى جنين إنسان فحلّت به لتعيش حياة أرضيّة جديدة.

٣ ـ التقمّص عند الفينيقيين:

كان الفينيقيّون الذين سكنوا الشواطىء اللبنانية، لا سيّما «بيبلوس ـ جبيل» منذ خمسة آلاف سنة قبل المسيح، يعتقدون على غرار المصريين بالحياة الثانية كما ثبت من مراجعة تواريخهم، حيث ظهر أنهم كانوا يطرحون أجساد موتاهم في القبور على التراب أو على صفوف من الحجارة. وقد وضع بالقرب من كلٍ منها فخّارتان تحتويان ما يلزم من الماء والطعام اللاّزم لرحلة ما وراء القبر. كما أن بعضها كانت تحتوي على

الأسلحة وأدوات الزينة كالأقراط والأساور الذهبيّة أو الفضية والأحجار الكريمة والأسلحة التي كانت تستعمل في ذلك الزمان.

وفي مراحل لاحقة عمدوا إلى وضع الجثّة في تابوت من الخزف، يضعونه في قعر بئر عميقة، أو في كهف خفيّ لإبعاده عن أعين المتطفّلين وحمايته من اللّصوص.

كما وُجدت جرار كبيرة كانت تُستعمل كتابوت حيث توضع الجثّة مطويّة على نفسها بشكل تقوقع وبجانبها إبريق وصحن وكأس للاستعمال في حياة ما بعد الموت.

وكان المصريون القدامى على صلة وثيقة بجبيل « بيبلوس » إذ كان لهم فيها قاعدة تجاريّة يستوردون منها خشب الأرز والصنوبر لبناء السفن وغيره.

وقد يكون هذا الاحتكاك والمبادلة التجارية والثقافيّة مصدر التشابه في بعض المعتقدات الدينيّة والروحيّة، وفي تشابه الأسطورتين ـ أسطورة « أدونيس » الفينيقيّة، وأسطورة « أوزيرس » المصريّة، وكلاهما يمثّل روح الشجر.

٤ ـ التقمّص في الهندوسيّة:

الهَندوسيّة أو البرهمانيّة هي الديانة المنسوبة إلى « براهما » الإله الأكبر لقدماء الهنود، وهو في اعتقادهم خالق الكون وإله البشر، وهو أول الثالوث، الثالوث الإلهيّ المؤلف، باعتقادهم، منه ومن « سيڤا » و« ڤيشنو »، إذ إنّ في صلب عقيدتهم أنّ الله قد

تجلّى تباعاً في « براهما » ثم في « سيڤا » وأخيراً في « ڤيشنو ». وكان في اعتقادهم أنه كان « لبراهما » أربعة أولاد نشأ عنهم الأسباط الهندوسية الأربعة المعروفة، وهي: البرهمانية، الكاتريياس، والقايسياس، والسودرا. وكل ما عداها منبوذون. ومن « فيشنو » تتحدر قبائل السيخ.

إنّ المعتقد الأساسيّ لدى جميع أفرقاء الهندوس يقضي بأنّ النفس البشريّة تنتقل من إنسان إلى حيوان أو إلى نبات، وأن الإنسان ينتقل من حياة إلى حياة أخرى أحسن أو أسوأ، وذلك بالنسبة للمؤهّلات والصفات وأنّ كل إنسان يتقرّر مصيره بالنسبة لأعماله، فالبعض يصبحون أغنياء بعد فقر ومنهم من يتمتع بالقوّة والصحّة، ومنهم من يكون في أسرة محترمة أو أسرة حقيرة، وكل ذلك ليس من قبيل الصدفة أو الاختيار بل هو من قبيل المكافأة أو المعاقبة.

ويعتقد الهندوس بالتقمّص ويعبّرون عنه بما يعني التجسد، وفي هذا المجال يعتقدون أنّ نفس الشخص يبقى حياً بأطوار وأدوار مختلفة، إلى أن يطهر ويصبح أهلاً للحياة في العالم الروحانيّ.

٥ ـ التقمّص في البوذيّة:

تأسست الديانة البوذيّة في القرن الخامس قبل الميلاد وأطلق على مؤسّسها لقب بوذا، ومعناه العاقل أو الحكيم، ولكنّ

اسمه الحقيقيّ هو سيرهارتا غـوتـامـا، وهـو ابـن زعيـم قبيلـة الساكياس.

في البوذيّة كما في الهندوسيّة، يؤمنون بالتقمّص وبأنّ الحياة الأرضيَّة يتخلّلها العذاب الناتج عن رغبة الإنسان في التمتّع بالشهوات الجنسيّة والمغريات الدنيويّة.

ولكي يتخلّص الإنسان من العذاب في الدنيا، عليه أن ينكر ذاته، ويتحرّر من الرغبات والشهوات التي تشدّه إلى الوراء وتبعده عن الروحانيّات، وذلك بالانفراد عن الناس وتوجيهها نحو الخير والتقوى تاركاً الملذّات الجسديّة والدنيويّة معتمداً حياة الزهد والتقشّف، فيتحرّر من العلاقات الأرضيّة فيتدرّج في الصوفيّة والتحرّر حتى يصل إلى درجة «النيرڤانا» أي الذوبان كلّيًّا في الروح.

وبهذا يتوصّل الإنسان إلى إنقاذ نفسه من الدوران في حلقة من تعاقب الأجيال والأدوار.

وفي اعتقاد البوذيّين المعروفين باسم «تيرافادا» إنّ النفس تنتقل من جسد إلى جسد أرضيّ كي تتطهّر وتصل إلى درجة النيرڤانا، وعندئذٍ، فقط تنتقل إلى كوكب آخر.

من هنا يعتقد البوذيّون بالتقمّص، أي الولادة الثانية، وذلك للتفريق بين انتقال الروح من جسد إلى جسد في هذا العالم، وبين انتقالها إلى كوكب آخر.

كما أنّ بعض فصائل البوذيّة يجعل من الحلقة الدوّارِة رمزاً

لسلسلة من الحيوات التي تحدّدها مبادىء «الكارما» أو قانون السبب والنتيجة. وبرهاناً على ذلك فإنّ الجديد يتكوّن على أنقاض القديم، وبهذا تتاح الفرصة للفرد لتحسين مصائره، وأما الآثم فمصيره النار، أما الناقص فيعطى فرصة ثانية للتقمّص.

أمّا الإنسان الكامل فيعود إلى الحياة في السماء حيث ينعم إلى الأبد.

٦ ـ التقمّص عند اليونانيّين:

في المرحلة الأفلاطونيّة من مراحل الفلسفة اليونانيّة شُرحت نظريّة التقمّص بشكل أوسع وأوضح أكثر من ذي قبل، إذ إن كبير فلاسفة اليونان اعتنى بالأمور الروحيّة وخصوصاً مسألة الخلود عنايةً خاصة، ومن صلبها نظريّة التناسخ وتعاقب الأجيال البشريّة، وفي هذا المجال يقول:

إذ كانت النفس التي تولد في هذه الدنيا آتية من عالم آخر كانت قد ذهبت إليه بعد موت سابق، وأنّ الأحياء يبعثون من الأموات، فذلك يعني أن النفس لا تموت بموت الجسم.

وإذا نظرنا في التغيّر بشكل عام وهو قانون العالم المحسوس، وجدنا تبادلاً بين الأضداد، فيولد الأكبر من الأصغر والأحسن من الأسوأ، والعكس بالعكس.

ومن هنا مصدر العقيدة القائلة بأن الحياة تبعث من الموت، ولولا ذلك لانتهت الأشياء إلى سكون مطلق فالنفس، برأي

أفلاطون، كانت قبل الولادة وستبقى بعد الموت. وكان يعتقد، كمعلمه سقراط، بالتقمّص.

وجد أفلاطون في التقمّص تفسيراً معقولاً للعديد من جوانب فلسفته ووجهات نظره القائلة بأنّ النفوس المتواجدة في الأجسام وجدت قبل وجود هذه الأجسام في عالم الحقيقة؛ وأنّها كانت تدرك هناك المعاني الأزليّة التي لا صلة لها بالمادة، ثم حلّت في أجسامها كي تتعرّف إلى الجزئيّات المحسوسة في عالم المادة عن طريق القوى الحسيّة التي يملكها الجسد.

وقد نهج أفلوطين، وهو من أعظم فلاسفة اليونان على نهج أفلاطون من حيث الاعتقاد بالتقمّص، وكَتَب في هذا المجال: إنّ النفس بالرغم من مصدرها المقدّس نزلت من المناطق السماويّة واندمجت في الجسد مختارة حتى تتقوّى وتتخلى عن نزواتها وشهواتها الأرضيّة وحتى تصبح روحاً علويّة.

٧ ـ التقمّص في الديانات الإفريقيّة:

عرف التقمّص في إفريقيا منذ القدم، وهو شائع ومعترف به في الديانات التقليديّة القديمة، وخصوصاً عند قبائل «الكالاباري» الذين يشكلون الغالبيّة الساحقة من سكان إفريقيا ولا سيما في جنوبي الصحراء الكبرى.

وفي مفهومهم تتألف الحياة من عنصرين: «أوجو» وهو الجسد و«ثيم»، وهو الروح غير الماديّ والذي لا يستطيع أحد رؤيته إلاّ الأطفال والمتقدمين في طريق القداسة، الذين لم يطفىء فساد

العالم الماديّ نور قلوبهم، ويمكن لهؤلاء القدّيسين أن يتحدثوا مع «تيم» أي مع الأرواح، وباعتقادهم أنّه متواجد في كل مكان، كالنسيم، وعندما يفقد الإنسان «ثيم» يموت. إذ إنه هو المسيطر على «أوجو» الجسد الماديّ. أما مصير الإنسان فيتقرر قبل مجيئه.

إنّ هذه القبائل الإفريقيّة تعتقد بأنّ الخالق أوجد عنصرين: «سو» وهو الذكر «وتامونو» وهو الأنثى ممّا يسمّيه علماء الباطنيّة بالعقل والنفس. قبل أن يولد «ثيم» الأثيريّ الروحانيّ يذهب إلى «تامونو» ليقول لها: أيّ الطرق أسلك في حياتي المقبلة؟ فترشده إلى ما عليه أن يكون، فترسله ليدخل الجسد الذي اختارته وهو في رحم الأم، من هنا كانوا يعتقدون بأنّ الشخص هو ما كانه قبل أن يولد.

وفي نظرهم بأنّ الموتى هم متواجدون في الأثير، ويعودون للظهور من نسلهم عن طريق قوى متذبذبة.

وبهذا يكون لدى العديد من أديان إفريقيا الوسطى، معلومات مهمّة عن المقوّمات الوساطيّة والأجساد الأثيرية، والوجود قبل الولادة للحياة على الأرض، وهي وثيقة الصلة بنظريـة التقمّـص ولا يمكن الفصل بينهما.

٨ ـ التقمّص في أميركا:

تقع ولاية «ألاسكا» الأميركيّة في الشمال الغربيّ من أميركا الشماليّة، وتغمر الثلوج معظمها في جميع فصول السنة. وتسكنها

العديد من القبائل المتعدّدة الأسماء والعادات والتقاليد، ومن أشهر هذه القبائل، الإسكيمو، ومن أكبر قبائلها قبيلة «تلجنت» التي تسكن في جنوب شرق ألاسكا وهي أكثر سكان ألاسكا إيماناً بالتقمّص، فاعتقادهم فيه لا يتزعزع، وهو المحور الأساسيّ لعقائدهم وشعائرهم الدينيّة، وكذلك القبائل المجاورة لهم.

وتشترك قبائل «التلجنت» مع الدروز في الاعتقاد بأنّ الروح تنتقل فوراً وبسرعة من جسد إلى جسد آخر، كما يشترك معهم في هذا الاعتقاد قسم من بوذيّي التيبت والطائفة الجايتية الهنديّة.

إنّ بعض سكان ألاسكا يعتقد بأنّ الروح لا تنتقل من جسد إلى جسد آخر بل تعود إلى نفس الجسد، وبهذا يشتركون مع قدماء المصريّين في هذا الاعتقاد، مما جعلهم يلجأون إلى تحنيط موتاهم لكي تعود الروح إلى المومياء، حيث تجد كلّ ما تحتاجه من مأكل ومشرب وخلافه.

كما أن قبائل «التلجنت» تعتقد بأنّ الميت يعود فيتقمّص في أحد أقربائه فإذا اكتشفوا شبهاً أو علامة ما في أحد المواليد، مع أحد موتاهم، سارعوا إلى الاعتقاد بأنّه عاد إليهم فأعطوه الاسم السابق له.

ويعتقد الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأميركيّة أنّ لكلّ كائن بشريّ روحاً ونفساً. وأنّ الروح بعد خروجها من الجسد تصبح طيفاً هائماً حول المكان الذي كان فيه سابقاً، لذا يضعون له المأكولات والملابس، أمّا النفس فإنّها تذهب إلى «مستودع»

النفوس إلى أن تعود وتتقمّص جسد أحد المواليد.

٩ ـ التقمّص عند العرب:

من معتقدات العرب في الجاهليّة، عودة الإنسان إلى الحياة بعد موته، وبأنّه سيكون له نفس الروح، ولكن بجسد آخر.

ومن كتب الحديث يظهر أنّ العرب كانوا على معرفة واهتمام بشأن هذا الاعتقاد، إذ إنّ بعضهم قد سأل الرسول (ﷺ) عنه كما أنّ بعض الفرق الشيعيّة تعتقد بعودة الشخص إلى الحياة بشحمه ولحمه، وكذلك تعتقد بعض الفرق الإماميّة بعودة الإمام عليّ كرّم الله وجهه، وأكثرهم يقول بعودة الإمام الثاني عشر، وهو المهدي (المهدي «المنتظر») ليملأ الأرض عدلاً، بعد أن ملئت ظلماً واستبداداً، وسيستقر لدى عودته، على جبل رضوى بين مكّة والمدينة، وقد جلس عن يمينه ويساره أسدان لحراسته.

ولم يفتهم في الجاهليّة، الاعتقاد في المسخ، وفي هذا السياق، قيل بأنّ «اللات» كان رجلاً يقيم عند صخرة بالطائف، فلمّا مات قال لهم عمرو بن لحيّ إنّه لم يمت، إنما دخل الصخرة، وأمرهم بعبادتها، ثمّ بنى عليها بيتاً وسمّاه اللات.

وقد قيل عن أساف ونائلة، إنّهما كانا رجلاً وامرأة، عملا عملاً قبيحاً في الكعبة، فمسخا حجرين.

وممّا رووه من أنّ سهيلاً كان عشّاراً ظالماً فمسخه الله كوكباً، كما أن كوكب «الزهرة» كانت بغيًّا مسخها الله شهاباً،

كذلك روي أنّ امرأة خائنة، دعى عليها زوجها فمسخها الله كلبةً نبّاحة.

وقد ذكر الجاحظ أمثلة على اعتقاد الناس بالمسخ، وأن بعضهم اعتقد أنّ السمك البحريّ والضباب كانتا أمّتين من الأمم فمسختا.

وفي اعتقادهم، إنّ الأربيانة «القريدس» كانت خيّاطة تسرق الخيوط، فمُسخت حيواناً بحريًّا، وتُرك عليها بعض الخيوط، للدلالة على ما كانت تسرق.

ومن معتقداتهم أنّ الفأرة كانت طحّانة، والحيّة كانت على صورة جمل، وأن الإبل خلقت من أعناق الشياطين، وأن الكلاب أمّة من الجنّ.

وقد أنكر بعض العرب المسخ، واستعاضوا عنه «بالقلب» كأن ينقلب الإنسان قرداً، لكن، بنفس الطول والعرض من حيث القامة.

ومن آثار التناسخ عند بعض الفئات الإسلاميّة ما قاله أحمد بن حايط، وأبو مسلم الخراساني، والقرامطة، ومحمد بن زكريا الرازي: إنّ الأرواح تنتقل بعد ترك أجسادها الأولى إلى أجساد أخرى، ولو لم تكن من نفس النوع، وقد قال أحمد بن حايط في التناسخ، وأن الله خلق الناس في دار النعيم، وجعل لهم ناموساً يقتدون به، فمن أطاعه كلّيّاً، بقي حيث هو، ومن عصاه رماه في النار، أما من عصاه جزئيّاً، فأنزله إلى الأرض بأشكال وصور

مختلفة منها الإنسان وسائر الحيوانات، كلٌّ على قدر ذنبه ومعصيته، فينتقل من صورة إلى أخرى بقدر ما يتقدّم إيجابيّاً، أو يزيد من غيّه وانحرافه.

أمّا عبد الله بن الحارث مؤسّس «الجناحيّة» التي هي من أوائل الفرق الإسلامية، فقد قال بالتناسخ والأظلة؛ وهذه الفكرة تدور حول انتقال الروح في أجسام، بحسب قربها أو بعدها عن الخير. فالكفرة يبقون طويلاً في أجساد الحيوانات البشعة المشوّهة، أمّا المؤمنون فيصبحون دوابّاً كيلا يدخلهم الزهو والكبرياء فيخرجون على الطاعة.

بعد الجناحيّة جاءت «المخمسة» لتتوسّع في التناسخ، فقالت بالنسخ، والفسخ، والمسخ، والرسخ. والغاية منه التطهير وتطبيق العدالة، ثواباً أو عقاباً.

ومن هذه الفرق فرقة «المسلمية» التي اعتقدت بانتقال الأرواح من جسد إلى جسد، إلى الأحسن أو إلى الأسواء، وذلك يتوقف على ما تكون قد قدّمته في الحياة السالفة من خير أو شرّ.

كذلك فرقة «السمنية» نسبة إلى «سومنات» وهو صنم كان في الهند، وقد عرف عن هذه الفرقة، كراهيتها الشديدة للبراهمة، التي تضاءل عددها بعد ظهور «زرادشت» الذي دعا إلى المجوسيّة التي راجت فيما بعد.

وقد عرف هذا الاعتقاد بين المسلمين في العصر العبّاسيّ، فكان بالبصرة ستّة رجال من أصحاب الرأي: عمر بن عبيد،

وواصل بن عطاء، وبشار الأعمى، وصـالـح بـن عبـد القـدوس، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، وآخر من الأزد، وكانوا يجتمعون في منزله للحوار والتحاجج، وفي النهايـة مـال عمـر بـن عبيـد وواصل بن عطاء إلى الاعتزال، وأما عبد الكريم بن أبي العوجاء وصالح بن عبد القدوس فمالا إلى التوبة، وأمّا بشار بن برد فقد بقي في حيرته، وأمّا الأزديّ فمال إلى قول السمنية.

وظهرت التناسخيّة عند عدد من الطوائف الإسلاميّة، فقال البغداديّ في هذا السياق: من أهل التناسخ في الإسلام البيانيّة والجناحيّة، والخطابيّة، والراونديّة.

وقد قال بعض فلاسفة المسلمين ومنهم الطبيب الرازي: لو لم يكن، لا سبيل لتخليص الأرواح من أجساد البهائم لتعود إلى أجسام بشريّة، إلاّ بالقتل ذبحاً أو بغيره لما جاز ذبح أو قتل أيّ من الحيوانات؛ وبهذا ذهب هؤلاء إلى أنّ التناسخ هو على سبيل الثواب والعقاب. أمّا من كانت أعمالهم كلّها شرّ فهم أرواح الشياطين وأمّا من كانت أعماله كلّها خير فهو من فئة أرواح الملائكة.

وكان لعقيدة التناسخ في النصيريّة أهميّة كبيرة إذ دعا إليها العديد من العلماء والأئمة.

وقد اعتقد «إخوان الصفاء» بالتناسخ، فخلطوا بين ما كتب فيها أفلاطون وفيثاغورس، وكان لهم إيمان ثابت بأنّ انتقال الروح عبر أجساد مختلفة، هي مراحل لتحقيق العدالة الإلهيّة كما

اعتقد «إخوان الصفا» بأنّ منزلة الإنسان المتوسّطة، بين عالم السماء والأفلاك، وعالم الحيوان والمادة، قد أعطته فرصة إمّا للارتقاء إلى الأعلى وإمّا للهبوط إلى الأسفل.

وقد تأثّر شعراء العرب بعقيدة التناسخ، فقال فيها بعضهم العديد من الأبيات، ومن بينهم، «أبو الطيب المتنبي» والشاعر الفيلسوف «أبو العلاء المعري».

وقد أصبحت عقيدة التقمص عقيدة ثابتة لدى الدروز، وقد حاول مؤلفيهم إيجاد مبادىء وأصول ثابتة لها. واذ رأى البعض في زيادة عدد سكان الأرض سبباً لنقض نظريّة التقمّص، فإنّ الموحّدين الدروز وجدوا بأن وجود الأنفس غير محصور على كوكب واحد، وقد أكّدوا على انتقال نفوس جديدة بين الكواكب والأجرام الأخرى.

وعقيدة التقمّص هذه ضرورية لتثبيت العدالة الإلهيّة، اذ إنه من غير الممكن أن يُظهر الإنسان جميع مميّزاته وصفاته في فترة زمنيّة قصيرة، وهذا ما يفرض أن يعرف الإنسان أنواعاً مختلفة من الحياة.

١٠ ـ التقمّص عند الدروز:

خصّص القاضي اللبناني أمين طليع فصلاً خاصًّا لهذا الموضوع بعنوان «التقمّص عند الموحّدين المعروفين بالدروز» جاء فيه:

الموحدون الدروز اعتنقوا التقمّص واستعملوا هذه الكلمة

للقول بانتقال الروح من جسد بشري الى جسد بشري آخر، وهم لا يعتقدون بالفسخ والرسخ اذ في عرفهم انه اذا صح وجود الفسخ والرسخ، فلا يكون هناك حساب أخير، وهذا ما يخالف جميع الشرائع السماوية التي تقول: إن الإنسان لا يحاسب في دنياه بل ان حسابه في اليوم الأخير، يوم تُعاقَب النفس على ما فعلت من شر وتُثاب على ما فعلت من خير.

عندما يقول الدروز بأنهم ينكرون التناسخ، فهم ينكرون بذلك انتقال النفس البشرية الى جسم غير الجسم البشري، وهم ينكرون المسخ أيضاً وينفونه نفياً قاطعاً جازماً ويعتبرون ان كلمة مسخ تستعمل عند أهل المذهب على سبيل المجاز. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في كتب المذهب بحق خمار بن جيش الذي قيل فيه، انه مسيخ حزين، مع ان خماراً كان انساناً كامل الصورة معروفاً في عصره بأنه إنسان طبيعي. فالمقصود بهذا القول هو المسخ المعنوي والتحقير. ومن الأمثلة أيضاً ما قيل في النساء الناكثات المرتدات عن مذهبهن: «انهن من اللواتي خرجن عن حقائق الديانات قد مسخن وهن غافلات». ولا يكتفي الموحدون بنفي المسخ، بل يعتبرون ان من اعتقد به كان من عبدة ابليس اللعين، اذ انه لا يدخل في المنطق ولا المعقول، كما لا يدخل في عدل الله عز وجل بأن يعاقب من عصيه، بأن يجعله في صورة قرد أو خنزير، لا يعقل ولا يعي ما كان عليه قبل أن يمسخ، وعندما كان في الصورة البشرية. كما انه لا يعرف ما جنى. وانما تكون الحكمة، في عذاب رجل يفهم ويعرف

العذاب، ويدرك السبب الذي من أجله سامه الله مر هذا العذاب.

في عقيدة الموحدين الدروز ان التغيير الروحي مستمر حتى نهاية الأجيال، وان البشر لا يتناقصون ولا يزيدون، وان الأرواح معدودة منذ بداية الخلق، وانها خلقت من نور العقل الكلي، وبقيت تنتقل من جسد بلي إلى جسد ولد من جديد، مارة في أدوار التجربة والامتحان.

وورد في عدد مجلة الضحى العاشر لسنة ١٩٧١، وهي المجلة التي يصدرها المجلس المذهبي للطائفة الدرزية في لبنان، كلمة لسماحة شيخ العقل الشيخ محمد أبي شقرا قال فيها ما يلي:

«الموحدون الدروز لا يؤمنون بالحلول ولا بالتناسخ بل يؤمنون بالتقمّص. فبالتقمّص يثبت عدل الله في مخلوقاته، وتتكافأ الفرص وتتاح لكل مخلوق. النفوس البشرية اللطيفة خالدة باقية، والأجسام الكثيفة أقمصة للنفوس، ولا لطيف «دون كثيف، والنفوس لا تفارق الأجسام لحظة واحدة، بل تنتقل بسرعة من جسد بشري إلى جسد بشري جديد، وتسري فيه كسريان تيار الكهرباء في السلك. والنفوس جواهر والأجسام آلاتها. كالعين آلة البصر واللسان آلة الكلام والآذان آلة السمع، والجسم بمجموع أعضائه آلة النفس.»

«ان خلود النفس لا يكون ولا يمكن أن يكون بالنسبة الى عدل الخالق تعالى، وبالنسبة الى الثواب والعقاب، الا بواسطة التقمص، وهذا الأمر أشارت إليه كتب الأديان جميعها.»

وفي نهاية فصله، يلخص أميـن طليـع مـذهـب الدروز فـي التقمّص، فيقول:

إن إيمان الدروز لجهة التقمّص محصور بالنقاط الجوهرية الآتية نعيدها باختصار تأكيداً لما سبق لنا قوله:

= التقمّص حقيقة علمية وعقيدة وإيمان وهو يشمل جميع الموحدين.

= التقمّص يميز بين الجنسين فالذكر يبقى ذكراً والأنثى تعود أنثى.

= تنتقل الروح بسرعة ودون إبطاء من الجسد الفاني الى الجسد الجديد.

= التقمّص ومرور الروح في أدوار حياتية مختلفة هو في سبيل الاختبار والامتحان وليس للتنقية والتطهير والوصول الى الإمامة أو الكمال.

= الدروز لا يعتقدون بغير التقمّص من أنواع انتقال الروح التي يعتقد بها سواهم ويقولون بأن المؤمنين أهل توحيد وأهل تنزيل وأهل تأويل. وفي التقمّص يعود كل منهم إلى الفريق الذي هو فيه أصلاً.

ان كل ما يناقض هذه القواعد هو خارج عن عقيدة الدروز. فلا يظنن من رسخ في أذهانهم التصاق التقمّص بالدرزيّة ان كل ما يرد بشأن التقمّص هو من ضمن عقيدة الدروز.

وقد رأى الكاتب اللّبناني المعاصر خليل تقيّ الدين أنه لا يعقل أن تنحصر حياة الإنسان بعدد من السنين لا يجاوز المائة؛ وان الإيمان بعودة الروح متقمّصة جسداً جديداً لخير من الاعتقاد بانطفاء كل شيء في الإنسان مع الموت.

وقد شبّه الكاتب، في كتابه «العائد»، حياته السابقة بالحلم الذي يراه في نومه، إلاّ أنه يجد ان عدد الذين يتذكّرون أحداث حياتهم الغابرة لقليل جداً.

وبرأي «تقيّ الدين» فإن الموت جسر يُعبر عليه من حياة إلى حياة أخرى، لذا فإن الموت لا يخيفه ولا يُرعبه. فالموت في نظره ليس نهاية ولا خاتمة. ويوضح الكاتب فكرة التقمّص بالتشبيه التالي: فالروح ترتدي الجسد كما يرتدي الإنسان قميصه، وتنزعه ساعة الموت. وعند الموت، تنتقل الروح دون إبطاء إلى جسد جديد، وهكذا تنتقل من جسد إلى آخر، فتتطهّر أكثر فأكثر حتى تبلغ الكمال، وتقرب إلى الله عزّ وجلّ.

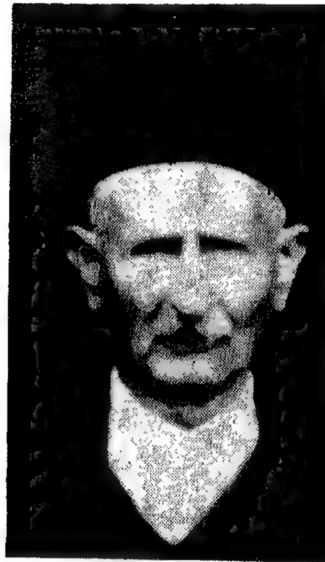
ويحاول تقي الدين أن يجيب عن قانون الثواب والعقاب الذي يحيّر العديد من الناس. فهو يجد ان الطفل عندما يولد مشوّهاً أو معتوهاً، أو مريضاً، فإنّما يكون يؤدّي في هذه الحياة حساباً عمّا قام به في حياة سابقة. ويُعرف ميزان الثواب والعقاب هذا «بالقانون الكارميّ».

القسم الثاني :

قصص عجيبة في التقمّص

القصة الأولى :

قصّة عجاج محمود ذبيان
في مزرعة الشوف (لبنان)[1]



عجاج محمود ذبيان

---

(١) عن كتاب « التقمّص » للذبياني ص ١٣٤ - ١٤٣ .

على إحدى هضاب الشوف الأشمّ، معقل آل معروف الموحّدين، تقع مزرعة الشوف، إحدى القرى الجميلة بموقعها المشرف على ما حوله من الهضاب والوديان، ومنازلها المبعثرة بين الحقول والجنائن الخضراء.

أهم تلك المنازل وأكبرها، دار الحارة، وقد بنيت من الحجر الأبيض المنقوش وسقف بالقرميد الأحمر، ممّا يُوحي بثراء ووجاهة صاحبها مصطفى ذبيان.

ولد لمصطفى صبيّ دُعي عجاج، وأصبح فيما بعد، اسماً على مسمّى إذ كان منذ نعومة أظفاره، كثير الحركة، عالي الصراخ يعبث بكلّ ما تطال يداه.

وفي أحد الأيام وقد ضاقت الدار بمن أمّها من الأهل والأصدقاء بدعوة من صاحبها لمأدبة سخية، أقامها في إحدى

المناسبات السعيدة على عادة أهل المنطقة، لا سيّما، وقد عُرف بالكرم والضيافة.

بين هذا الجمع الغفير من الأهل والأنسباء، أخذ الطفل عجاج وقد بلغ الرابعة من العمر، ينتقل من مكان إلى مكان والجميع يلاطفه ويمازحه، ممّا أزعج عمته زاهدة، فأرادت أن توقفه وتحدّ من تراكضه وثرثرته، فأمسكت به مؤنّبة.

حاول الإفلات من بين يديها، وعندما لم يستطع، صرخ بأعلى صوته قائلاً:

ـ ليت هذا البيت بقي خراباً محروقاً.

فحملقت العمّة زاهدة في وجهه، وقد بانت الدهشة والغضب في والغضب في نظراتها، وقالت:

ـ ماذا قلت يا عجاج؟ أعِدْ ما قلته.

ـ فأعاد عجاج ما قاله بثقة وإصرار: ليته بقي محروقاً كما كان.

فقالت العمّة:

ـ متى كان محروقاً؟ ومن أحرقه؟

فقال عجاج:

ـ أنا أحرقته منذ زمن بعيد.

فاغتاظت زاهدة، ممّا جعلها دون وعي تشدّ بقبضتيها على

يدي عجاج الصغيرتين، فصرخ بأعلى صوته متألماً:

- نعم أنا أحرقته.

ممّا لفت أنظار بعض المدعوين فاقتربوا مستفسرين، فهدّأوا من روع الطفل ولطّفوا من ثورة زاهدة، فكظمت غيظها وأحاطت عجاج بذراعيها لتقبّله مراراً، ممّا أعاد الثقة والطمأنينة إلى قلبه، ثم شجّعته على الكلام بناءً لطلب أحد المسنّين من الأهل، فقالت:

- طيّب إحكي لنا القصّة، وكيف جرت؟

ودون وجل، وبكثير من الثقة والروية، وككهل يروي أحداثاً مرّت به، وهو في ربيع عمره، غيرَ آبه بالعيون المشدوهة والوجوه المقطّبة، عاد إلى حديثه، فقال:

- في أحد الأيام، قصد سعيد بك جنبلاط مزرعة الشوف، على رأس جيش جرّار للنيل من عدوه اللّدود مصطفى ذبيان، زعيم القرية وصاحب دار الحارة إذ اشتدت العداوة بينهما، وبلغت حدّاً جعلت المنطقة تضيق بالاثنين معاً، فعلى أحدهما أن يقلّم أظافر خصمه وكَسْر شوكته.

لكن في اللحظة الأخيرة، تدخّل العقلاء وأقنعوا سعيد بك بالعدول عن رغبته وكبح ثورته، منعاً لإهراق الدماء بين أفراد العشيرة والطائفة الواحدة كما قصد بعضهم دار الحارة، فأقنع سيدها مصطفى ذبيان، المتمركز مع مؤيّديه ومحازبيه اليزبكيّين وقد تأهّبوا بعديدهم وعدّتهم للتصدّي لسعيد بك وجيشه، أقنعه بعدم المباشرة بالقتال.

ومن هنا اتفق الطرفان على أن يسمح مصطفى ذبيان لسعيد بك بالدخول إلى القرية (مزرعة الشوف) فيزور من يشاء من أنسبائه ومؤيّديه دون إلحاق الأذى بمصطفى ذبيان وبكلّ ما يخصّه من بشر أو أملاك.

وبالمقابل يذهب مصطفى ذبيان إلى بعقلين، حيث يزور ذوي زوجته المتوفاة وأنسبائها من آل حمادة، كذلك دون أذيّة أو ضرر. وتنفيذاً للاتفاق المعقود وتدعيمه دخل سعيد بك إلى المزرعة ونزل في بيتي، كما ذهب مصطفى ذبيان مع بعض أنصاره لزيارة أهل زوجته في بعقلين.

فلم يكن من عمته زاهدة إلاّ أن قاطعته قائلة:

- نزل في بيتك؟ أين بيتك؟ من تكون؟

فأجاب عجاج قائلاً:

- نعم نزل سعيد بك في بيتي؛ وكنت أنا، محمود نصرالله البعيني، وكان سعيد بك يحبّني كثيراً.

ثم قطّب حاجبيه صامتاً، وكأنه يستعيد ذاكرته، فأصغى الجميع وكأن على رؤوسهم الطير، متلهّفين لسماع بقيّة القصّة، فاستطرد يقول:

- بعد مدّة من الزمن، كان خلالها بعض أنصار سعيد بك يوغرون صدر زعيمهم على مصطفى ذبيان، ويحرّضونه على إحراق «دار الحارة» عنوان وجاهة وزعامة مصطفى ذبيان، لكن

سعيد بك كان لا يأخذ برأيهم، فيماطلهم ويحاول تغيير رأيهم، ولكن في النهاية ولكثرة ما لفّقوا من أحاديث وأكاذيب عن مصطفى ذبيان من تهجّم وتعرّض، نزل عند رغبتهم مكرهاً وقرر إحراق دار الحارة خوفاً من اتّهامه بالجبن والتقصير.

وعلى سبيل إخفاء العمليّة ومنفّذيها، ومنعاً لنتائجها قرر سعيد بك أن يعهد بالحريق إلى شخص واحد فقط من أقرب المقرّبين إليه، تحت جنح الظلام، وأن تحاط بالسريّة والكتمان الشديدين، ولدى الصباح يكون انتهى الأمر.

لدى وصول عجاج إلى هذه النقطة من القصّة، وصلت السيّدة غريبة زوجة مصطفى ذبيان بالذات، وكانت سيدة بكل معنى الكلمة، -عرفت بالطيبة والوقار، وكانت زاهدة تشتعل غيظاً، ففقدت صبرها، وقذفت بالصبيّ بعيداً بشكل لا يخلو من القسوة والعنف، لكنّ أحد الحضور تلقفه قبل أن يقع ويصاب بما لا تحمد عقباه.

ساء السيّدة غريبة سوء سلوك زاهدة فأنّبتها بلطف، ثم أخذت الطفل ممّن تلقّفه فضمّته إلى صدرها، وقبّلته مراراً، ثم أمرت له بقطعة من الحلوى، وبعد أن انتهى من أكلها طلبت منه أن يكمل الرواية.

فلمّا التفت نحوها أصيب بما يشبه الذهول، وبعد أن تفرّس فيها مليّاً، حاول التملّص من بين يديها، وهو يردّد: أنتِ؟ أنتِ؟ أنتِ؟ فقالت غريبة:

ـ من أنا؟ من أنا؟

وعادت إلى تقبيله وملاطفته، ولم تكن غريبة تقبّله أو تلاطفه للمرّة الأولى، إذ هي امرأة عمّه، وقد درجت على ملاطفته ومداعبته كلّما التقته، وكان يأنس اليها.

فقال عجاج:

ـ أنت غريبة زوجة مصطفى.

ـ وما الغريب في الأمر؟

ـ أنسيتِ ما قلتِ لسعيد بك جنبلاط بعد أن احترق بيتك.

فلم تخرج السيدة عن رزانتها، فزادت من ضمّه إلى صدرها وعادت إلى تقبيله حتى أشبعته، ثم قالت له بكلّ لطف وحنان:

ـ لقد نسيت، ذكّرْني، ماذا قلت؟

وبعد أن رددت السؤال مراراً وتكراراً، استرسل عجاج بالكلام، فأعاد على مسامعها الجدال الذي جرى بينها وبين سعيد بك جنبلاط حرفيًّا، وكأنّه يقرأ في كُتاب مطبوع.

ولم يكتفِ بالحديث الذي جرى بل عدّد أسماء من حضروه وروى مداخلاتهم، كما صوّر الحريق الذي جرى منذ عشرات السنين، وكأنه بالأمس: كيف بدأ وكيف انتهى، وروى المحاولات التي جرت لإطفائه، وسمّى من قام بها، وأعقب ساخراً: لكنها لم تنفع، فقد وصلت ألسنة النار وأعمدة الدخان إلى السماء.

وكانت السيدة غريبة أثناء ذلك، لا تنفكّ عن إحناء رأسها للتدليل على صحّة ما يرويه، وهي تقول: صحيح، نعم، والله صحيح، ثم تقدّمت إلى منتصف القاعة، وهي تحمله، وقالت بكل وقار: إنّني أقسم على صحّة ما رواه هذا الطفل، ولا أشكّ إطلاقاً في أنّه كان حاضراً لكلّ ما جرى وسامعاً لكلّ ما قيل.

وفيما بعد كان عجاج يسرد أخباراً وقصصاً من الماضي السحيق جرت فصولها قبل ولادته بعشرات السنين، ويشهد على صحّتها بعض المعمّرين من أهالي القرية والجوار ممّا يدل على واقعيّة التقمّص. وبقي عجاج يروي ما جرى له في حياته الأولى ويحنّ إلى أهله القدامى ومنزله العتيق.

القصة الثانية :

قصة حسن خطار مصطفى أبو شقرا في عماطور
(الشوف ـ لبنان)[1]



سليمان حسن مصطفى أبو شقرا

(١) عن كتاب « التقمّص » للذبياني ص ١٤٤ ـ ١٥٢ .

منذ خمسين سنة ونيف، نعت بلدة عماطور الشوفيّة، أحد وجهائها، وجرياً على العادة اللبنانية بالمشاركة في السرّاء والضرّاء، سارع أهالي المنطقة إلى عماطور للقيام بواجب التشييع والتعزية.

وكان من جملة القرى المشاركة في هذا الواجب المقدس مزرعة الشوف ـ دار الحارة، إذ قصد العديد من رجالها ونسائها، عماطور، وكان من بين النسوة السيّدة نخلة أرملة حسن خطار مصطفى ذبيان.

بعد الانتهاء من مراسم التشييع والدفن والقيام بواجب التعزية، انفرط عقد المواسين. وذهب كلٌّ منهم في سبيله قاصداً بلـدتـه وبيته، وكان من جملتهم وفد دار الحارة، ومن بينهم السيدة نخلة أرملة حسن خطار مصطفى ذبيان التي مرّ ذكرها. ولدى وصول هذه السيّدة وبعض رفيقاتها إلى ساحة عماطور، حيث، وفي كل قرية يجتمع الأولاد للهو واللعب، حملق بوجهها أحد الصبية

وكان في الخامسة من عمره ثمّ اندفع نحوها كالقذيفة وأحاط عنقها بيديه وهو يردّد: حبيبتي نخلة، ممّا أذهلها لبعض الوقت، ولمّا عادت إلى نفسها، أنزلته عن صدرها وانحنت نحوه، وسألته:

- من أنت أيّها الصبيّ؟ ومن أين تعرفني يا ولدي؟

- فقال الصبي: أنا لست ابنكِ.

- فإذاً، من أنت؟

- أنا حسن خطار مصطفى، أنا من دار الحارة من مزرعة الشوف أنا زوجك يا نخلة.

صُعِقت نخلة لهول ما تسمع، فلزمت الصمت برهةً وجيزة وهي تحملق في وجهه، وتتبادل النظرات مع رفيقاتها اللواتي فتحن أفواههن دهشة واستغراباً، ثم قالت:

- كيف تكون زوجي؟ كيف تكون زوجي وأنت ولد صغير؟

- أنا زوجك حسن.

فقالت نخلة:

- زوجي توفي منذ خمس سنوات، زوجي توفي قبل أن تولد.

- أنا حسن زوجك يا نخلة، تعالي معي، تعالي إلى بيتنا.

فجمد الدم في عروق نخلة، وأحسّت بقشعريرة هزّت كيانها إذ تذكّرت مبدأ التقمّص، وتساءلت إن كان ما يحدث معها من هذا القبيل.

وكأنّ الصبيّ أدرك حراجة الموقف وصعوبة تصديق ما يقوله، وفي محاولة لإقناعها بصدق ما يقول، خاطبها بلهجة لا تخلو من الحنان والتوسّل، فقال:

ـ أنا حسن يا نخلة، كيف أولادي؟ كيف حسيب، أعتقد أنه أصبح شاباً؟

وكيف أخي سعيد؟

ثم سألها عن بقيّة أفراد العائلة كلّ باسمه ذاكراً بعض خصوصيّاته، وعلى سبيل المثال: هل «فلان» ما زال يعتني بشاربيه، وهل فلانة تضع وشاحها الأحمر وغير ذلك مما لا يعرفه سوى الأقرباء والأهل؛ وهنا كان لا بدّ من تصديقه فأجهشت نخلة بالبكاء، وسالت دموعها ودموع رفيقاتها.

وكان لا بدّ من عودة نخلة إلى قريتها، حيث عادت إلى حزنها وندبها، فشاع الخبر في القرية والقرى المجاورة؛ كذلك عندما حمل أهالي عماطور الصبيّ الباكي إلى أهله شاع الخبر أيضاً في الجوار، وكان موضع جدل ومناقشة عدّة سنوات بين مصدّق ومكذّب.

وبعد مرور ثلاث سنوات، وكان الصبي بحلّته أو شخصيّته الجديدة، قد بلغ الثامنة من عمره، وقع خلاف، وكاد يصبح عراكاً عنيفاً، بين أبناء دار الحارة، وجيرانهم، على حدود أملاكهم، وبلغ خبر الخلاف جميع القرى والدساكر الشوفية حتى بلغت مسامع الغلام سليمان حسن مصطفى أبي شقرا في عماطور،

فأخذ يبكي مطالباً أهله الجدد باصطحابه إلى دار الحارة، زاعماً بأنّه الوحيد الذي يعرف حدود الأرض المتنازع عليها، ولكثرة ما بكى وما توسّل، أقنعت الجدّة النبيلة والد سليمان أبي شقرا بمرافقته إلى هنالك، فنزل عند رغبتها بالرغم من العداء القديم بين آل أبي شقرا، وآل ذبيان، فذهب العديد من أهالي عماطور وعقلائها برفقتهم، تحسّباً للطوارىء.

لدى وصولهم إلى مزرعة الشوف قادهم الغلام سليمان، ذو الثماني سنوات عبر طريق مختصرة (قادوميّة) نحو دار الحارة، وكانوا يجهلونها، ولدى وصولهم إلى الدار، هبَّ جميع من فيها للترحيب بهم متناسين الخلافات القديمة، وبعد استراحة قليلة، نادوا على عقلاء الطرفين المتنازعين، وذهب الجميع إلى الحقول حيث موضع الخلاف، وكان إخوته السابقين قد أعلموه بأنهم يجهلون حدود الأرض المتنازع عليها فطمأنهم قائلاً بأنّه يعرفها حق المعرفة.

سار الغلام عبر الزرع، والجميع في أثره حتى بلغ هدفه، ودون تردّد كشف بيديه عن الحدود الذي كان يغطيها التراب، فصفق الجميع إعجاباً، ولدى عودتهم وكان الحق قد عاد إلى أصحابه لاقتهم النسوة على عادة أهل الجبل، بالأهازيج والزغردة وأقاموا لأهل عماطور، وولدهم بالتقمّص وليمة ملوكيّة، أزالت نهائيّاً الحذر والشكوك من نفوس الطرفين.

ويوم بلغ سليمان أشدّه تزوج وأنجب العديد من الأولاد، وفي

حنينه إلى الماضي أطلق على أولاده الجدد، أسماء أولاده القدامى، وعلى رأسهم حسيب، بكْرِه من الزواج الماضي، كما لم يفته أن يسمّي على اسم أخيه سعيد.

وقد أصبح وما زال أشدّ المدافعين عن حقيقة التقمّص.

القصة الثالثة:

قصّة تقمّص الشيخ القاضي سعيد حمدان من قرية باتر (الشوف ـ لبنان)[1]

روي أن لآل ذبيان الكرام، في مزرعة الشوف طفل في الثامنة من عمره يدعى جميل، وكان جميل الطلعة، طلق اللسان، يصرّ على أنه كان فيما مضى، على وجه الأرض، وبأنّه كان قاضي الشرع للطائفة الدرزيّة اللبنانيّة، وكان يدعى سابقاً الشيخ سعيد حمدان من قرية باتر الشوفيّة المعروفة.

كان يردّد دائماً أمام زائريه، بأنّه قد أنجب ولداً دعاه كامل في حياته القديمة، أي يوم كان الشيخ سعيد حمدان.

وفي الحقيقة، كان للمرحوم الشيخ سعيد حمدان ولد يدعى كامل، وكان من باتر، وهو إنسان مرموق ومحبوب من الجميع. وقد عرف عن الشيخ سعيد، القاضي، في محيطه، بأنّه عصبيّ المزاج قاسٍ في أحكامه، وكان الطفل جميل على كراهية وعداء مع آل ذبيان، أهله في حلّته الجديدة.

وقد جاءت الأحداث، وجميعها بطريق الصدفة، تثبت ما

(١) عن كتاب الذبياني «التقمّص» ص ١٥٣ ـ ١٥٨.

يدعي، وذلك بمعرفته الصحيحة والدقيقة لأشياء صغيرة جرت مع الشيخ سعيد كقاض، لا يعرفها سواه، وربّما لا تعرفها زوجته نفسها.

من هذه الأحداث أو البراهين أنه في أحد الأيام دخلت سيدة عجوز تتوكَّأ على عصاها، منزل آل ذبيان، أهل جميل، وكانت تدعى زهر خزاعي، وكان الطفل في السادسة يومئذٍ من عمره، ولم يكن قد رآها سابقاً، وما أن وقعت أنظاره عليها، حتى تأفف قائلاً:

ـ أنتِ؟ ماذا تريدين الآن؟

ممّا لفت انتباه أحد أنسباء البيت، وكان يجلس بقربه، فقال له:

ـ لماذا غضبت؟ وهل تعرفها؟

فالتفت إليه الطفل جميل ممتعضاً، وأجاب:

ـ نعم أعرفها، إنها زهر.

فأعاد الرجل سؤاله:

ـ أية زهر؟

ـ زهر خزاعي.

وبالفعل كانت العجوز تدعى زهر خزاعي، وهي من مزرعة الشوف.

ـ من أين، ومنذ متى تعرفها؟

فأجاب جميل بلهجة الواثق من نفسه ومن صحة ما يرويه:.

- عرفتها يوم كنت قاضياً للشرع، وكان لزهر هذه إحدى الدعاوى عندي، وما أكثر دعاويها، فكانت تذهب إلى بيتي في باتر كثيراً، وهي ثرثارة ملحّة تفقدني صبري بمطاليبها غير المحقّة، ولا تريد أن تفهم، أو تسمع إلاّ ما تشاء، ولهذا كنت أكرهها كثيراً.

وفي أحد الأيام داهمها الليل وهي عندي، فكرّرت عليّ ما سمعته منها مراراً عديدة، وفي محاولة لصرفها، كنت ألفت انتباهها إلى اقتراب الليل، دون جدوى، حتى فقدت صبري فطردتها غاضباً، إلا أنّ زوجتي في ذلك الحين، وهي من خيرة النساء، أشفقت عليها لاسيّما أنّه كان قد حلّ الظلام بعد أذان المغرب وقريتها بعيدة، فدعتها إلى غرفة من المنزل حيث طيّبت خاطرها، وقدّمت لها الطعام وسمحت لها بالمبيت عندنا؛ وهنا قاطع المحدِّث جميلاً، وقال له:

- وأنتَ ألم تشفق عليها وهي العجوز الضعيفة، كيف تطردها ليلاً؟

فأجاب جميل غاضباً.

- كلا لم أشفق عليها، كنت أبغضها إذ كانت تنظر باستمرار إلى يدي الكتعاء بسخرية وشماتة.

وفي هذه الأثناء، كانت زهر خزاعي، تصغي بانتباه شديد إلى حديث الطفل بدهشة واستغراب،، ولدى وصوله إلى هذه النقطة

من الحديث وذكر يده الكتعاء، تأكَّدت من أنه الشيخ سعيد حمدان، وقد تقمّص بهذا الصبيّ جميل ذبيان، ولم تعد تملك نفسها، فصرخت بوجهه غاضبة:

- صحيح هذا أنت، لعنة الله عليك، كم عذَّبتني، كم شرشحتني على طريق باتر ذهاباً وإياباً، ودون أن يطلب منها، أعادت الرواية حرفيّاً من حيث المعنى والمضمون، طبعاً، مع بعض الحواشي والتعليقات اللاذعة، تنفيساً عن حقدها وكراهيتها للقاضي السابق الشيخ سعيد حمدان، وقد تذكرت فجأة كل ما ألحقه بها من عذاب وإذلال، ولم تنس أبداً أن تضيف، وهي تروي قصّتها وبشكل متقطّع: هذا الظالم، أو لعنة الله عليك وغيره؛ وقد أنهت كلامها قائلة: لم يكن قاضياً، بل كان شيطاناً رجيماً.

وفيما بعد تأكّد الراوي من صحّة كلّ ما سمعه من الطفل جميل ذبيان ومن العجوز زهر خزاعي، وخصوصاً عن العدواة والكراهية المتبادلة بين الشيخ سعيد وآل ذبيان وعن عصبيّته ويده الكتعاء، ومن هنا توصّل إلى قناعة تامة بصحة نظرية وواقعيّة التقمّص بشكل وصورة لا تقبل الشك.

القصة الرابعة:

قصّة تقمّص عبّاس حسين الحلبي
من بعقلين (الشوف ـ لبنان)[1]



عباس حسين الحلبي
في قميصه الحاضر

(١) عن كتاب التقمص للذبياني ص ١٥٩ ـ ١٧٠ .



عباس حسين الحلبي
في قميصه السابق

روى عبّاس حسين الحلبي من بعقلين الشوف، في الخمسين من عمره، موظّف في وزارة الزراعة اللبنانيّة، وذو مكانة مرموقة في المجتمع، يحترمه جميع معارفه لاتزانه ووقاره، قال:

ـ كنت في الجيل السابق أدعى عباس حسين الحلبي، وكنت أُتقن فنّ البناء. هاجرت مع والدي إلى السويداء بعد أن طلّق أمّي، وتزوّج بأخرى، وكنت أدعوها خالتي، وهي الآن زوجة أبي.

أذكر أني مرضت في السويداء مرضاً عضالاً وأشرفت على الهلاك، فنذر أبي السابق، والذي هو أبي في الجيل الحاضر خروفاً يولمه للأقارب والأصحاب إن شفيت من هذا المرض. وشاءت الأقدار أن شفيت، فقرّر أبي الوفاء بالوعد، فدعا وديعاً، أخا زوجته ـ خالتي ـ والذي كنت أدعوه خالي، وطلب منه أن يذهب إلى الكرم ليحمل له العنب.

سرّ خالي بهذا الطلب، وطلب إليّ أن أرافقه فاعتذرت بادىء

الأمر لأنني لم أستعد صحتي تماماً، ولكنّه ألحّ علي بعد أن أحضر بغلاً للجيران وطلب منّي أن أركب وراءه. ولمّا أدنى البغل إلى حائط البيت طلب منّي أن أصعد الحائط، وأقفز على ظهر البغل ـ وكان شموساً ـ ففعلت ذلك، وقبل أن استوي على ظهره، وأتعلّق بخالي، اضطرب من تحتي وأسقطني، ثم رفسني فأصابني على صدري وخاصرتي، فغبت عن الوعي.

ولمّا استعدت وعيي رأيت نفسي في حضن أبي مكان الحادث. وفي أثناء وعيي الذي لم يطل، شاهدت فتاة تحمل على كتفها تنكة، فظننت أنّ فيها ماء جاءت به لترشّه عليّ، فطلبت من أبي إبعادها عنّي. ومن ثم لم أعد أذكر ماذا حدث لي...

ومرّت الأيام، فترك أبي السويداء، كما قيل لي، بعد أن فَقَد ولده ـ أي أنا ـ وعاد إلى بعقلين...

وذات يوم، وأنا في بعقلين، ولم يكن لي من العمر أكثر من ثلاث أو أربع سنين، كما أخبرني والدي، كانت أمّي تحضر الكبّة، فإذا بي أخرج إلى الشرفة المطلّة إلى دير القمر، وأنادي خالي وديعاً كي يقاسمنا أكل الكبّة، وخالي هذا قد هاجر إلى أميركا قبل أن أعيه في قميصي الحاضر، بل وقبل أن أعي نفسي، وهو الذي شهد مصرعي في القميص السابق. وكنت أظنّ أن أميركا ليست سوى دير القمر المطلّة على بلدتنا بعقلين.

ولمّا لم أسمع جواباً دخلت على أمّي، والتي لم تكن إلاّ خالتي ـ زوجة أبي في القميص السابق ـ وطلبت منها أن تحتفظ

بقسم من الكبّة وتخبّئه إلى خالي فيأكله حين يعود، وقلت لها: بأنّني أنا عبّاس ابن أمّ غيرها، وما هي إلاّ خالة لي - زوجة أبي.

فتعجّبت أمّي اليوم وخالتي بالأمس، من كلامي هذا، وأسرعت إلى أبي وأخبرته، فتعجّب بدوره وقال لمن كان حاضراً:

- ولدي عبّاس ينطق، وأن «وديعاً» الذي دعاه عبّاسٌ خالَه، إذا صحّ نطقه، قد هاجر إلى أميركا قُبيل ولادة عباس، وأنّه بالفعل يحبّ أكل الكبّة، ويفضّلها على سائر الأطعمة.

عندئذ جاء والدي، وأخذ يستدرجني للحديث، فرويت لُه قصّة موتي، وقلت له بأنه هو حسين والدي في الجيل السابق. ولمّا أدرك حقيقة ما رويته، وهو العارف بتفاصيل الحادثة أخذني بين ذراعيه وراح يضمّني ويبكي.

وانتشر الخبر في البلدة: «عباس حسين ينطق» فأخذ الناس يتقاطرون علي ويرهقونني بالأسئلة، وكنت أجيب بكلّ بساطة ووضوح عن كلّ ما حصل معي.

ولمّا صرت في سن الخامسة عشرة قصدني شخص يدعى سعيد الداهوك وهو من بعقلين، فقال لي:

- أنا لا أؤمن بالتقمّص، ولا أصدّق ما تقول ما لم تذهب إلى السويداء، وتتعرّف على بيتك، وتثبت ما تقول بالأدلّة الحسيّة. فأجبت بابتسامة ملؤها الموافقة والقبول.

وفي عام ١٩٢٥ كان عيد استقلال وطني يعيّده الدروز، وكنت في الخامس عشر من عمري يوم حقّقت طلب السيّد سعيد الداهوك؛ فذهبت الى السويداء معتمداً على ذكرياتي من القميص السابق بعد أن اشترطت على مرافقيّ - ومن بينهم صهري وشقيقتي - أن يأخذوني ويتركوني على مدخل حيّها الغربي، وأنا أقودهم إلى ما يريدون، وأدلّهم على ما يطلبون.

ولما وصلنا إلى مدخل المدينة الغربي، سرت في مقدّمتهم، وهم يسيرون ورائي بذهول إلى أن وصلت إلى المكان الذي شهد مصرعي، وإلى البيت الذي شهد ساعة انفصال روحي عن جسدي. وهناك شرحت لهم كل ما حصل لي، وذكرت لهم أنّه كان قرب البيت بعض الشجيرات، واليوم أزيلت.

وانتشر الخبر أيضاً في السويداء، فجعل الناس يردّدون:

- «عباس حسين الحلبي يتقمّص».

ولمّا تجمهر الناس حولي مثّلت لهم الحادث، إذا اعتليت الحائط، وشرحت لهم كيف قفزت على ظهر البغل، وكيف اضطرب من تحتي، فسقطت ثم فاجأني برفسة من رجليه ثم أغشي عليّ... وعندها لم أتمالك نفسي، فأخذت الدموع تسيل على خدّيّ. وذكرت لهم اللحظة التي أتت فيها الفتاة، ولا أذكر اسمها، وهي تحمل تنكة الماء، وطلبت من والدي أن يبعدها عنّي خوفاً من أن ترشّ عليّ بعض الماء؛ وفيما أنا أحدّثهم فإذا بامرأة من بين الحضور تقاطعني وتقول بعد أن اقتربت منّي:

ـ صدّقوا الفتى، صدّقوه. أنا هي تلك الفتاة التي كانت تحمل التنكة الملأى بالماء. وقد رافقت الذين نقلوه من مكان الحادث إلى البيت الذي دلّكم عليه، حيث أسلم الروح تحت أعيننا. وبعد عودتنا إلى بعقلين، آمن الكلّ بصحّة ما قلت، وقال سعيد الداهوك:

ـ أنا لا أؤمن، أما الآن فقد اقتنعت.

ثم دار الحوار التالي:

ـ عباس أفندي، هل أنت واثق ممّا قلته؟

فقال عباس:

ـ كلّ الثقة.

فقيل له:

ـ وهل لم تزل تتذكّر ما حدث لك، أم أنّك تحفظ الرواية فقط؟

فقال عباس:

ـ نعم، بكلّ تأكيد، وأني أزيد، وهو أنّي كنت في قميصي السابق قد وعدت امرأة من السويداء، كانت تعيلنا في البيت، بأن أقدم لها فستاناً ومئزراً، ولكن الحادث أحال دون ذلك. ولكنّي لما ذهبت إلى السويداء للتعرّف على بيتي، ولدى رؤيتي للامرأة تذكّرتها وتذكرت وعدي لها، ولمّا سألتها ألا تزالين هنا بالقرب

من هذا البيت؟ ذكّرتني بوعـدي لهـا، فـذهبـت إلـى السـوق واشتريت لها الفستان والمئزر، وقدمتهما إليها، فوفيت في جيلي هذا وعداً كنت قد قطعته على نفسي في جيلي السابق.

القصة الخامسة:

قصّة المصوّر السوريّ المرافق للسفير الشاعر عمر أبو ريشة(1)

روى الشاعر الكبير عمر أبو ريشة إحدى قصص التقمّص التي جرت بحضوره وعلى مسامعه، في بلاد الهند، حيث كان سفيراً للجمهوريّة السوريّة في عهد المغفور له الرئيس شكري القوتلي، فقال:

لقد دأب فخامة الرئيس القوتلي على اتخاذ مصوّر خاصّ يرافقه مع من يضمّه الوفد في زيارته للبلاد الأجنبيّة، وفي زيارة رسميّة للهند، أصيب المصوّر السوريّ بحادث سير أليم، نُقل على أثره إلى أحد المستشفيات، وهو بين الموت والحياة وفي غيبوبة تامّة، وكان يهذي بصورة متواصلة.

وكانت دهشة الطبيب المعالج كبيرة، عندما رأى أنّ هذا الرجل العربيّ السوريّ، الغائب عن الوعي، يهذي باللغة السنسكريتيّة التي لا يعرفها إلاّ عدد قليل من الهنود وهو من بينهم.

(1) عن كتاب التقمّص لأمين طليع ص ٧٧ - ٧٨.

وبالحال، اتصلت إدارة المستشفى بالسفارة السوريّة بناءً لطلب الطبيب الذي يجيد السنسكريتيّة، والذي كان قد عمد إلى تسجيل ما يقوله المصوّر الغائب عن الوعي، فحضر السفير أبو ريشة على جناح السرعة مع بعضِ موظّفيه حيث سمع الجميع بعضاً من أقواله، وقبل انصرافه، طلب من الطبيب المذكور أن يواظب على تسجيل كلّ ما يدور على لسان المصوّر حتى يستعيد وعيه.

وبعد ترجمة هذه الأقوال، تبيَّن أنّه كان يروي قصة حياة سابقة عاشها فيما مضى، وباللغة السنسكريتيَّة التي يجهلها حاليّاً تماماً والتي لا وجود لها إطلاقاً في سوريا، حيث ولد ونشأ المصوّر، وخلاصتها أنه كان فيما مضى من الأزمنة، أحد أبناء العائلات الهنديّة، فأغرم بإحدى بنات عائلة تفوق عائلته جاهاً وثراءً في بلاده، وقدَ بادلته الحب وتواعدا على الزواج، لكن والدها الذي لم ترضه هذه العلاقة، لم يوافق على زواجهما، بل عمد إلى تزويج ابنته من شاب آخر ينتمي إلى طبقة مرموقة، وكما يجري في العديد من قصص الحب والغرام، وفي لحظة من الغضب واليأس، أقدم هذا العاشق على قتل الوالد المستبدّ ثم قتل نفسه.

والجدير بالذكر أنّ اللغة السنسكريتيّة، التي كان يتكلّمها بطلاقة في هذيانه لم يعد يفهمها، حتى في الهند، موطنها القديم، إلا قلة ضئيلة من علماء اللغات القديمة.

القصة السادسة:

قصّة تقمّص إبراهيم الشيخ بشر أبو حمزة[1]

يروى أنّ شابًّا لبنانياً درزياً من أهالي خريبة الشوف القريبة من المختارة، يدعى إبراهيم الشيخ بشر أبو حمزة، توفي سنة ١٩٤٩ م، وهو في ريعان الشباب إثر مرض عضال، عجز الطب عن علاجه.

بعد وفاة الشاب إبراهيم أبو حمزة بما يقارب العشر سنوات، وتحديداً في الواحد والعشرين من كانون الأوّل سنة ١٩٥٨ م رزق السيد محمد قاسم الأعور والسيدة عقيلته ولداً ذكراً سماه عماد. وهو من أهالي قرنايل في المتن، التي تبعد عن موطن إبراهيم أبو حمزة، خريبة الشوف، ما لا يقلّ عن ثلاثين كيلومتراً ونيف. وما إن بلغ الطفل عماد الأعور سنته الثانية، وأصبح قادراً على التفوّه ببعض الكلمات، حتى أخذ يردّد بعضها، وكانت تنمّ عن أنّه يتذكّر أشياءَ من الماضي، ومع السنين وتقدّمه في النطق والتعبير أخذ يذكر أسماء أهله القدامى، وأسماء أقاربه وأصدقائه

(١) عن كتاب «التقمّص» لأمين طليع ص ٨٠ - ٨١.

من الخريبة وبعدران وسواها من البلدات المجـاورة للخريبة، كما أنه كان يردّد كثيراً اسم فتاة كان على علاقة سابقة معها، وأسماء غيرها من الأشخاص والحوادث التي تؤكّد صحّتها. ولمزيد من التأكّد اقتيد إلى الخريبة، فتعرّف بسهولة ودون تردّد إلى مرتع صباه في حياته السابقة وإلى أصدقائه ومعارفه القدامى الذين كان قد ذكرهم في طفولته، والذين كانوا ما زالوا متواجدين على قيد الحياة.

القصة السابعة :

قصّة تقمّص هنري ألكن من ولاية ألاسكا الأميركيّة[1]

وردت في بعض المجلات العلميّة التي تُعنى بالأبحاث والاكتشافات العلميّة وخصوصاً ما يتعلّق بالمعتقدات والعادات لدى الشعوب ومن بينها ما يتعلّق بالتقمّص فتتحرى عن أحداثه وتتسقط أخباره عبر العالم، وردت قصّة من قصص التقمّص التي يصعب تصديقها، وقد جاء فيها :

ولد هنري ألكن في بلدة آنفون في مقاطعة ألاسكا سنة ١٨٩٩ م، ومنذ ولادته كان يحمل علامتان، إحداهما في صدره والأخرى في الجهة المقابلة من ظهره، وكانت هاتان العلامتان أقرب ما تكون لمدخل ومخرج رصاصة أصابت حاملها، وبعد مدة قصيرة لا تتجاوز الثلاثة أشهر انتقل الطفل الرضيع مع أهله إلى « هوناه » حيث أمضوا عدة سنوات كان هنري الصغير قد كبر وأصبح قادراً على المشي والكلام بطلاقة.

فعاد به أهله إلى بلدتهم الأصليّة « آنفون » لزيارة أهلهم، حيث

(١) عن كتاب أيان ستيفنسن Ian Stevenson « عشرون قضيّة مستوحاة من التقمّص ».

كانت جدته لأبيه ما زالت تندب زوجها الذي قتل، قبل ولادة هنري بمدّة طويلة في إحدى المعارك القبليّة، برصاصة أصابته في صدره، وخرجت من ظهره.

وما إن وصل هنري إلى «آنفون» حتى تعرّف على معالم البلدة وشوارعها كما تعرَّف على أهله وأصحابه، ولا سيّما جدّته، فقد تعرّف عليها بصفتها زوجته في حياته الماضية، وقد روى المعركة وأحداثها، وبهذا أثبت الطفل هنري الصغير أنه نفس الرجل، أي الجدّ الذي قتل قبل ولادته بعدّة سنوات.

من المعروف والمتفق عليه علمياً، بأن بعض العلامات الفارقة يمكن أن تكون وراثية من الجدود إلى الأحفاد، ولكن ليس بالضرورة المطلقة، أمّا أن يحمل الحفيد، علامة طارئة حصلت لجدّه من رصاصة أو سكين أو خلافه، فهذا لا أصل له وراثيّاً أو علميّاً. وقد أصبح هذا الموضوع الحدث، بعد نشره في أرصن المجلات العلميّة والأدبيّة، محور أبحاث علماء العالم دون أن يتوصّلوا إلى ما يمكن أن يكون ذا صلة بتوارث أثر الرصاصة من الجدّ إلى الحفيد، ممّا يثبت بأنّه ما زال في دنيانا وحياتنا من العوامل أو الأمور الروحية أو الوراثية أو غيرها، لم يصل العلم والعلماء إلى تفسيره.

القصة الثامنة :

قصّة تقمّص رتران هامي في سيلان[1]

في السابع عشر من كانون الثاني سنة ١٩٤٧ م، ولد لإحدى العائلات المرموقة في سيلان مولود ذكر سمّي فيجارتي، وكان عند ولادته يحمل تشويهاً على صدره وذراعه اليمنى، ممّا حمل أهله على الاعتقاد بأنّ هذا التشويه نتيجة نقص طبيعيّ في النموّ.

إلاّ أنّ الوالد قال فوراً لدى مشاهدة الطفل والتشويه الذي يحمله على صدره وذراعه :

ـ هذا راتران هايم قد عاد.

وما إن أكمل الطفل فيجارتي السنة الثانية من عمره حتى تكلّم، فكان يروي أموراً غريبة، وقد عزت والدته روايته هذه الأمور إلى الثرثرة البريئة عند الأطفال ولم تعره أيّ اهتمام. وفي أحد الأيّام، أخذ يروي قصّةً واقعيّة جرت من زمن بعيد، وكان الغريب في الأمر، أن يتحدث طفل في الثانية من عمره، عن أشياء حصلت قبل مولده بعشرات السنين فينسبها إلى نفسه ويقول إنّ أحداثها، حصلت معه شخصيّاً، وبأنّ زوجته قتلت وبأنه عُذّب

(١) عن كتاب الدكتور أيان ستيفنسن nosnevetS naI «عشرون قضيّة مستوحاة من التقمّص».

وأُعدم بعد اتهامه بقتلها.

بقي الطفل على منواله، يردّد هذه القصّة بشكل خاصّ مع غيرها من الأمور، ممّا جعل الوالدة تروي ما يجري مع الطفل الصغير لزوجها وتسأله عن معنى كلّ ذلك، وقد تذكّرت ما قاله لدى مشاهدة الطفل لأوّل مرّة عند ولادته.

حاول الوالد التملّص من الإجابة، لكنّها ألحّت عليه، فلم يجد مفرّاً من الاعتراف بأنّ شقيقه رتران هامي، وكانت لا تعرفه ولم تسمع به قبل اليوم، قد قتل زوجته، أو اتهم بقتلها، فقبض عليه، ولإجباره على الاعتراف، ضُرب وعذِّب حتى درجة التشويه ثمّ أُعدم، وإنه لدى رؤيته التشويه على جسم الطفل، والذي يشبه تماماً تشويه أخيه، تذكَّره وقال: هذا أخي رتران هامي قد عاد.

ومن بيت إلى بيت، ومن قرية إلى قرية شاع الخبر وانتشر فأصبح على كلّ شفة ولسان، حتى وصل إلى مسامع بعض علماء النفس الذين اهتموا كثيراً لهذا الأمر الفريد من نوعه، وبعد التحقيق الدقيق والمداولة في الأمر، قرروا متفقين على أن روح العمّ القتيل قد تقمّصت في جسد ابن أخيه، وبأنّه كان يروي أحداثاً جرت معه في حياته الماضية، والتي حدثت سنة ١٩٢٨ م، أي قبل ولادته بعشرين سنة.

القصة التاسعة :

قصّة تقمّص بولو في إحدى مدن البرازيل[1]

وضعت السيدة إيدا لورنز طفلتها إميليا في الرابع من شباط سنة ١٩٠٢ م في إحدى مدن البرازيل، بعد أن فقدت بكرها إميليو.

إلا أنّ إميليا الصغيرة، وقد بدأت تتكلّم وتفصح عن نفسها، كانت تتذمّر دوماً من كونها فتاة، وتتمنّى لو كانت صبيّاً، وقد بقيت على تذمّرها هذا حتى إنها تمنعت عن الزواج، رغم كثرة المتقدّمين إليها والعروض المغرية التي حصلت عليها، ولا غرابة في ذلك إذ كانت تتمتّع بجمال أخّاذ، وذكاء حادّ إلى جانب إتقانها لمهنة التفصيل والخياطة.

رغم كلّ ذلك، كانت تتمنّى الموت لنفسها ليلاً نهاراً، دون سبب أو مبرّر حتى أقدمت على الانتحار في ١٢ شباط ١٩٢١.

بعد أن فقدت ولديها: إميليو الذي توفّي طفلاً، وإميليا التي

(١) عن كتاب الدكتور أيان ستيفنسن Ian Stevenson «عشرون قضيّة مستوحاة من التقمّص».

انتحرت شابة. وضعت السيدة إيدا لورنز طفلاً ذكراً سمّته بولو، وكان ذلك في الثالث من شهر شباط سنة ١٩٢٣ م.

وعندما كبر بولو، وأصبح قادراً على الكلام، تبيّن لوالدته أنّه كان يروي كلّ ما حدث مع أخته المنتحرة إميليا، وفوق ذلك كان يقلّد حركاتها ويشاركها في ذوقها، كما ظهرت معه موهبة التفصيل والخياطة التي كانت تجيدها شقيقته إميليا.

وقد رأى علماء النفس في ذلك إحدى حالات التقمّص، كما أنّهم أكّدوا بأنه لا فرق في التقمّص بين ذكر وأنثى، ممّا يعني، بأنّه من الممكن أن يتقمّص الذكر جسد أنثى والعكس بالعكس.

ومن الجدير بالذكر أنّ الدروز، وقبائل التيبت وألاسكا يرفضون هذه النظرية، ويؤكّدون بأن التقمّص يحصل بين أفراد الجنس الواحد فقط.

القصة العاشرة:

قصّة تقمّص نيانا شيلاكا في سيلان(1)

في الرابعة عشر من شباط سنة ١٩٥٦ م، ولدت نيانا شيلاكا في أواسط سيلان؛ وعندما تجاوزت سنتها الأولى وأخذت تتمتم بعض الكلمات، كانت تسمّي والديها بأسماء غير أسمائهم الحقيقيّة، دون أن يعيروها أيّة أهمّيّة، لكن بعد مرور السنة الثانية، وقد أصبحت تتكلم بطلاقة، روت بأنّ لها عائلة غير العائلة الحالية تقيم في مدينة «تيلا واكيلي» وتتألّف من أب وأم وأشقاء، وذكرت أسماءهم.

من هنا كان لا بدّ من استشارة بعض الأطبّاء الذين ذهبوا معها وأهلها إلى «تيلا واكيلي» حيث قادتهم بكلّ سهولة إلى منزل أهلها القدامى وارتمت في أحضان والدتها، وقبّلت والدها وأشقاءها بلهفة وحنين، وكانت تناديهم كلاً باسمه الحقيقيّ دون أيّ خطأ.

---

(١) عن كتاب الدكتور أيان ستيفنسن Ian Stevenson «عشرون قضيّة مستوحاة من التقمّص».

وهنا كما في القصّة التي سبقتها، كانت « نيانا شيلاكا » صبيّاً في عائلتها الأولى بينما تقمّصت إميليا البنت البرازيلية جسد الصبي بولو لورنز.

القصة الحادية عشرة:

قصّة إدغار كايس Edgar Cayce[1]

ولد إدغار كايس في إحدى المزارع القريبة من هوبكنزڤيل في ولاية كونتاكي من الولايات المتحدة الأميركيّة سنة ١٨٧٧ م، وفي الخامسة من عمره التحق بمدرسة القرية حيث بقي إلى المستوى التكميليّ فقط.

لكنّه تعويضاً عن هذا النقص في الدراسة، عمد إلى دراسة الكتاب المقدّس والتعمّق في معانيه، حتى أتقنه، وقد ثابر على إعادة قراءته، مرّة واحدة على الأقلّ كلّ سنة.

وقبل أن يبلغ العشرين من عمره، ترك إدغار كايس مزرعته ونزل إلى المدينة، حيث عمل بإحدى شركات التأمين، ولكنه سرعان ما ترك هذا العمل مجبراً إذ فقد صوته، وهذا رأسماله وعدّته في عمله، وكان ذلك إثر التهاب حادّ في الحنجرة.

وانتشرت قصته فأصبحت عاهته حديث الناس وموضع شفقتهم وتعليقاتهم حتى سمع بها أحد المنوّمين المغناطيسيّين المحترمين،

---

(١) عن كتاب توما سوغرو «There is a River».

فعرض عليه خدماته، فقبلها شاكراً؛ ولدى تنويمه تكلّم، لكنه عاد إلى بكمه عندما استفاق. إلاّ أن أحد هواة التنويم، وكان حاضراً، خرج برأي صائب: طالما أن إدغار قد تكلّم وهو في حالة اللاوعي فهذا يعني أنه غير مصاب بعاهة عضويّة، فلماذا لا نسأله بعد تنويمه عن حالته، فربما عرف الداء والدواء، فأعيد تنويمه حتى بلغ المرحلة الثالثة من التنويم أي إلى حالة الاستسلام التامّ.

ولدى سؤاله عن سبب علّته أفاد عن تقلّص عصبيّ في الحبال الصوتيّة وبأنّ هذه الحالة نفسيّة أكثر منها عضويّة، أمّا طريقة الشفاء فبسيطة جدّاً، وتقضي بتسريع الدورة الدمويّة في المنطقة المعطوبة عن طريق الإيحاء النفسانيّ، ثمّ إقناع المريض بالشفاء التامّ، فيعود إلى نطقه بعد أن يستيقظ.

وبعد أن أتم كايس وصف الداء والدواء، عمد المنوّم إلى الإيحاء المطلوب لتنشيط الدورة الدمويّة في العنق، وبالفعل انتفخ عنق النائم، وتحوّل لونه من أبيض شاحب إلى الأحمر الزاهي؛ ثم عمد إلى إقناعه بأنّه قد شفي تماماً، وبأنه سيتكلّم كما في الماضي بعد أن يستيقظ، وقد ردّد ذلك على مسامعه مراراً، وعندما أيقظه، أخذ يصرخ ويغنّي فرحاً بعودة صوته.

وهنا، لا بد لنا من أن نروي ما حصل بعد ذلك؛ أثناء تنويم كايس لاحظ المنوّم أنّ المريض كان يصف المرض والدواء بلغة علميّة وطبّيّة رفيعة المستوى، والمصطلحات الفنّيّة التي استعملها

لا يتقنها إلاّ كبار الأطبّاء، علماً بأنّ كايس كان شبه أمّي ومن هنا، وبعد إجراء تجارب عديدة، تأكّد من تعامله مع شخص غامض، ذي مواهب خارقة؛ وبعد مداولة طويلة بين الفريقين، توصّلا إلى قرار يقضي باستخدام هذه الظاهرة لشفاء المحتاجين من المرضى دون مقابل.

ومن تلك الساعة بدأت قصّة كايس فانتشر صيته، وتناقلت أخباره جميع وسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة، وقد بلغ عدد الحالات التي عالجها قبل وفاته سنة ١٩٤٥ م ثلاثين ألف حالة سجّلت ونشرت في جميع أقطار العالم.

كان يطلب منه وهو في حالة النوم تشخيص مرض أحدهم وهو في مدينة أخرى تبعد مئات الأميال، فيكتفي بالاسم فقط حتى يذكر محلّ إقامته فيصف بيته وما يحتويه، كما يصف المرض والعلاج، وفي إحدى المرات سأله أحد المحامين برقيّاً عن كسر في رجل صديقه اليمنى، فكان الجواب بأنها سليمة، وسرعان ما تنبّه المحامي إلى خطئه إذ كانت اليسرى هي المصابة، ولما أعطي المعلومات الصحيحة وصف الكسر والعلاج.

وفي مرة أخرى، أصيبت إحدى الصبايا بحالات عصبيّة خطيرة عجز الأطبّاء عن معرفة أسبابها، حتى وصلت إلى مستشفى الأمراض العصبيّة، فطلب أهلها مساعدة كايس، فأفاد بأنّ الفتاة تشكو من ضرس العقل المقلوب، وأثناء نموّه ضغط على أحد الأعصاب المتصلة بالدماغ فأحدث لها هذه النوبات المريرة، أما

العلاج فيقضي باستئصال الضرس دون المسّ بالعصب، وبالفعل تم استئصاله بعمليّة جراحيّة، فعادت الفتاة إلى حالتها الطبيعيّة.

وعلى سبيل العرفان بالجميل أسّس أصدقاء كايس جمعيّة خيريّة باسمه في فرجينيا بيتش ونصَّبوا ابنه رئيساً لها.

ولكثرة ما قيل وكتب عن كايس، أراد الناشر الأميركي الكبير أن يتوصّل إلى معرفة مصدر هذه القوّة الخارقة فيه، وفي هذا المجال شارك في إدارة إحدى جلسات التنويم وإلقاء الأسئلة، وبالنتيجة توصّل إلى أنّ مصدر قوة كايس الخارقة، هي حياة سابقة كان فيها راهباً طبيباً، وقد تقمّص في جسد كايس الحالي، الذي عند استسلامه للمنوّم المغناطيسيّ يعود إلى عقله الباطنيّ، أي إلى عقل الراهب الطبيب.

لدى التوصّل إلى هذه النتيجة كان أكثر ما شغل بال كايس، أنّ التقمّص يتعارض وآيات الإنجيل وما ورد فيها، ولكن «لامرز» طمأنه إذ قرأ عليه ما ورد في إنجيل يوحنا: «إن الإنسان الذي لا يولد مرة ثانية لا يرى ملكوت السماء» وفسَّر له أن التقمّص يعني خلود النفس، وفي هذا المعنى قال الشاعر الفرنسي الكبير لامارتين:

إن الإنسان إله وقع من السماء وما زال يحلم بها.

إن قصّة التقمّص هذه أحدثت ثورة علميّة في الولايات المتحدة الأميركيّة، وأذكت حبّ الفضول إلى المعرفة والاهتمام

بالمواضيع الروحانيّة، كما كانت السبب المباشر في انضمام العديد من الناس إلى معتنقـيّ عقيدة التقمّص في بلاد سيطرت عليها المادّة، وصرفتها عن كلّ ما هو روحانيّ.

القصة الثانية عشرة،

قصّة تقمّص السيدة س.ج.

يروي محمد خليل الباشا في كتابه «التقمّص وأسرار الحياة والموت» القصّة التالية:

السيدة س. ج. أصيبت بمرض في القلب استوجب نقلها إلى الولايات المتحدة الأميركيّة حيث توفيت في أول الثلث الثاني من نيسان ١٩٧٢ م، زوجها السيد ح. ضابط متقاعد يسكن بيروت، بنتها السيدة ل. في فنزويلا ولها ولد يدعى و. وبنتها الأخرى السيدة غ. زوجة أحد كبار المغتربين في نيجيريا، ابنها ن. شاب مثقف يقيم في بيروت.

في أوائل سنة ١٩٧٧ تلقت السيدة ل. في فنزويلا كتاباً من طفلة مرفقاً بصورتها جاء فيه أنها هي أمها وأنها تعيش في الشويفات باسم ش.غ.

وتطلب ان تكتب إليها. فبعثت السيدة ل. كتاباً إلى والدها في بيروت ورجت منه الاهتمام بالأمر.

ليس من الصعب على السيد ح. أن يهتدي إلى بيت السيد

ش.غ. في الشويفات، فذهب مع ولديه ن. وغ. لزيارته في اليوم التالي، ولم تكن بين العائلتين أية علاقة، حتى ولا تعارف.

للسيد ش.غ. بنت اسمها س. ولدت في أول الثلث الثالث من نيسان ١٩٧٢، أي أن لها يومئذ خمس سنوات، وفيما كان والدها يستقبل زائريه كانت واقفة واجمة تنظر اليهم ولا تتحرك، كما كان السيد ح. ينظر إليها بكثير من الريب. ولما استأنست حدّثت الزائرين عن كثير من خصوصياتهم، ثم التفتت إلى غ. وقالت لها: هل أعطاك خالك حليَّك وأعطى أختك حليَّها؟

ذهل الزوار عندئذ لأن قصة الحلى لا يعرفها إلا أصحاب العلاقة المباشرة بها، ذلك أن الأم عندما كانت في الولايات المتحدة الأميركيّة في أيامها الأخيرة، قسمت حُليّها بين بنتيها ل. وغ. وأودعتها أخاها أ. لكي يوصل إلى كل من البنتين نصيبها، ففعل.

وامتد الحديث مع س. فكان يزداد معه شيئاً فشيئاً شعور الزوار الثلاثة بأن التي تحدثهم إنما هي فقيدتهم، التي تعرف الكثير من أسرارهم.

ويقول والد الفتاة: ان س. ذكرت اسم ل. منذ كان عمرها سنتين، ثم اسم و. ثم اسم ح. وع. ون. فلم نحفل بشيء من ذلك، لكننا أخذنا نشعر بأن هذا من ذكريات حياة سابقة، فحاولنا مساعدتها على تذكر اسم العائلة، فلم نفلح، وفي ذات يوم كنا نتحدث عن امرأة في الشويفات تدعى ن. فإذا بها تقفز

من مكانها وتقول: ن. امرأة أخي م. مات قبلي. وبالسؤال عرفنا أن م. شاب قتل في حادث طائرة سنة ١٩٦٣ وامرأته تدعى ن. وعرفنا أن اخته المتوفاة هي س. زوجة الضابط المتقاعد ح.

كانت ذاكرة س. تزداد جلاء مع زيادة سنّها، وفي خلال الأحداث سنة ١٩٧٥/١٩٧٦ ظهر عليها انها أم حقيقية، فكانت كل يوم تشتد فيه المعارك في بيروت تبكي وتصرخ وتتصرف بشكل هستيريّ خوفاً على أبنائها. وقد تذكرت رقم الهاتف لكنه التبس عليها ما بين ٦٨ و٨٦، إلى أن تذكرت أخيراً عنوان بنتها ل. في فنزويلا فكتبت اليها بضع كلمات.

وتابع الوالد يقول: نحن نعاملها معاملة خاصة مفعمة باللطف والمحبة لأننا نقدر حالتها النفسية، وهي من جهتها تشعر بذلك فيتنازعها عاملان: عامل إنكارنا فتصرخ أحياناً قائلة: «أنتم لستم أهلي، وهذا ليس اسمي، والبيت ليس بيتنا فبيتنا فسيح»، وعامل العاطفة فتنظر اليّ أحياناً وتقول: «أحبك لأنك لطيف معي مثل والدي أ.» وتقول لأمها متوددة: «أنا شاطرة في صنع الكعك فسأطعمك يوماً من شغلي»، وفي عينيها حزن عميق، وفي قلبها تعلق غريب بأولادها، فتبكي بصمت عند التفكير بهم.

وعندما جيء بها إلى بيروت لاحظت ان تغييرات كثيرة طرأت على بيتها الزوجي وخصوصاً غرفة النوم. وعرض عليها «البوم» الصور العائلية، فكانت تعرف كلّ فرد من أفراد العائلة فتذكر اسمه: هذا أخي أ. وهذا أخي س. وهذا أخي ف. وهذه

أمي ز. انها في السعودية، وهذا أنا ألبس ثوبي الأسود، انظروا كم كنت نحيلة.

ومن كلمة ندّت عن أحدهم فهمت أن زوجها ح. تزوج بعد موتها، فانفعلت ونادته فوراً تسأله: أصحيح أنك تزوجت امرأة غيري يا ح. أم أنها أقوال؟ وكانت تحسب المرأة التي رأتها في البيت هي إحدى الجارات، فلم يجرؤ على مصارحتها، فقال لها: ماذا تعتقدين؟ فقالت: لا أصدق أنني أنا المرأة الوحيدة في حياتك. وجلست في حضنه مسندة رأسها الصغير إلى صدره.

منذ ذلك الحين بدأت بين العائلتين علاقة صداقة أشبه بالقرابة العائلية. وكثيراً ما تتصل س. بعائلتها القديمة هاتفياً، فتطلب ان تكلم زوجها، وسألته مرةً: «أما زلت تحبني يا ح. أنا أحبك كثيراً لأنك كنت طيباً معي».

أما ابنتها غ. فتقول: أنا أحب روح س. وأحب شخصيتها الجذّابة، انها جميلة كأمي، وفيها كثير منها، وعيناها تشبهان عيني أمي لولا أن عيني أمي زرقاوان وعينيها عسليتان. ان تعرفي على س. أسعفني كثيراً، فالجرح الذي تركه موت أمي وجد في هذه الصغيرة الدواء الناجع وعدت لا أريد البكاء عليها كما كنت أفعل، وخصوصاً أنني عرفت أنها لم تتألم عند موتها[1].

---

(١) محمد خليل باشا: التقمّص وأسرار الحياة والموت ص ٢٠٧ ـ ٢١٠.

القصة الثالثة عشرة:

قصّة تقمّص وسيلة و.

يروي أيضاً محمد خليل باشا في كتابه «التقمّص وأسرار الحياة والموت» القصّة التالية:

«السيدة وسيلة و. من عاليه[1] تقول: انني من بيت فقير، من عائلة م. في العبادية. وفي ذات يوم، اذ كنت أسير مع والدي في سوق البلدة، وكان لي من العمر نحو خمس سنوات، سمعت طبيباً بريطانياً يتحدث بالإنكليزية مع خادمه، وبغتة شعرت بأنني أفهم كل كلمة مما كان يقول، وأمام دهشة الطبيب وكل من حضر أخذت أكلّمه بالإنكليزية، ومنذ ذلك الوقت شعرت أن فيّ شيئاً يختلف عن الآخرين فانقطعت عن اللعب مع أترابي، وأكببت على القراءة والتصوير وكل ما أنست فائدة منه، فكنت جديّة في كل ما أفعل، وشعرت بنضج مبكر في تفكيري، وبأن لي شخصية البالغين لا الأطفال.

لم يكن أهلي يعترضونني في تصرفاتي التي رأوا فيها دليلاً

(١) مدينة لبنانية.

على حالة تقمّصٍ يرافقها تذكّر اللغة الإنكليزية.

وفي سن الثانية عشرة أفقت مرة من نومي بغتةً كأنما صوت يهتف بي بإلحاح «وسيلة.. انشئي مدرسة.. فتفيدي وتستفيدي..» وفي الصباح أعلنت عن رغبتي، ثم حققتها رغم سنّي المبكرة، وأنكر عليّ بعض المشككين كفايتي للتعليم، فطلبت إخضاعي لامتحان، وكم كانت دهشة الأساتذة الذين كلفوا امتحاني عندما اطلعوا على مدى تمكني من اللغة الإنكليزية.

ومنذ ذلك الحين، أي من نحو أربعين سنة، وأنا أعلّم الإنجليزية، وقد ازدهرت أعمالي فعلاً فأفدت واستفدت.

كانت السيدة وسيلة في حياتها السابقة غنية جداً في الولايات المتحدة الأميركية (نيويورك)، تتعاطى الطب الجراحي وقد ماتت مسمومة، وهي ما برحت تذكر بعض الأشياء عن هذا الماضي[1].

---

(١) محمد خليل الباشا: التقمّص وأسرار الحياة والموت ص ٢١٠ ـ ٢١١.

القصة الرابعة عشرة:

قصّة تقمّص جميل س.

ولد في الشويفات (لبنان) طفل سمّي منذراً، وترعرع في كنف أهله في الشويفات.

ونما الولد نمواً طبيعياً، ولكنّه فاجأ أهله في أحد الأيام بقوله: أنا جميل س. وبيتي في عاليه.

وانتشر الخبر في بلدة الشويفات، حتى وصل إلى والدة جميل س. في عاليه، فأسرعت إلى الشويفات لتتحرّى الأمر، وكان ولدها قد قتل في شملان في أثناء أحداث ١٩٥٨م.

وعندما رأت الصبيّ، عرفها منذ أن رآها.

وقدّم الصبيّ دلائل كثيرة أثبتت صحّة ما يرويه، كما شرح كيفيّة مقتله مسمّياً الذين كانوا معه، كما دلّهم على المحلّ الذي خبّأ فيه بندقيّته، كما أخبرهم أنّ ساعته تركها عند فرّان في سوق الغرب قبل مقتله بيومين، وكان هذا الأمر لا يعرفه غير جميل، فمضوا معه إلى سوق الغرب وأحضروا الساعة التي كانت حيث قال.

وترعرع جميل وله عائلتان: واحدة في عاليه، وأخرى في الشويفات.

القصة الخامسة عشرة:

قصّة تقمّص قاسم ن.

كان قاسم ن، وهو من العباديّة[1]، طفلاً في سنّ الثالثة من عمره، وفاجأ والديه مرّة، بأن سألهما عن أولاده، طالباً أن يراهم، ذاكراً أسماءهم، مدّعياً أنّهم في بعقلين.

ونظراً إلى إلحاحه في هذه الروايات، حمله أهله إلى بعقلين ليتحرّوا الأمر، وما إن بلغوا سوق البلدة، حتى رأوا ابنهم قاسماً يركض أمامهم ويرشدهم إلى بيته، فإذا هو من عائلة وهاب، وكان حدّاداً وطحّاناً، وقد قُتِل بحادث سير.

وعندما دخل منزله القديم أخذ يدعو أولاده كلاًّ باسمه، وعرف امرأته من بين عدّة نسوة.

---

(١) قرية من قرى الشوف بلبنان.

القصة السادسة عشرة:

أخبار يونانيّة

روي عن الفيلسوف اليونانيّ فيثاغورس Pythagore أنّه عندما دخل مصر لأوّل مرّة، ورأى ألواحاً مكتوبة باللغة الهيروغليفيّة، أخذ يقرأها بكلّ طلاقة، وهو لم يسمع هذه اللغة إطلاقاً.

وقال ديوجينس لايرس (Diogène Laerce) في كتابه عن حياة فيثاغورس إنّه كان يذكر ثلاثاً من حيواته السابقة:

١ - هرموتين Hermotine.

٢ - ايفورب Euphorbe.

٣ - أحد أبطال الأرغون.

ملحق أول :

قصّة جبران خليل جبران
« رماد الأجيال والنار الخالدة »

١
توطئة
(في خريف ١١٦ قبل الميلاد)

سكن الليل ورقدت الحياة في مدينة الشمس[1] وأُطفئت السرج في المنازل المنتثرة حول الهياكل العظيمة القائمة بين أشجار الزيتون والغار ، وطلع القمر فانسكبت أشعته على بياض الأعمدة الرخاميّة المنتصبة كالجبابرة تخفر في هدوء الليل مذابح الآلهة ، وتنظر تيهاً وإعجاباً نحو بروج لبنان الجالسة في الوعر على جبهات الروابي البعيدة.

في تلك الساعة المملوءة بسحر الهدوء الموحدة بين أرواح النيام وأحلام اللانهاية ، جاء ناثان ابن الكاهن حيرام ودخل هيكل عشتروت[2] حاملاً مشعلاً ، وبيد مرتجفة أنار المسارج وأوقد المباخر فتصاعدت روائح المر واللبان ، ووشحت تمثال المعبودة

(١) هي بعلبك مدينة بعل إله الشمس ، وقد دعاها الأقدمون مدينة الشمس (هليوبوليس) لأنها بنيت لعبادة هذا الإله ، وقد اتفق المؤرخون على أنها كانت أجمل مدينة في سوريا . أما الخرائب الباقية إلى يومنا هذا فأكثرها من بناء الرومانيين بعد فتحهم سوريا .

(٢) هي ربة عظيمة عند قدماء الفينيقيين عبدوها في صور وصيدا وجبيل وبعلبك .

بنقاب لطيف يشابه برقع الأماني المحيط بالقلب البشري، ثمّ ركع أمام المذبح المصفّح برقوق العاج والذهب ورفع يديه ونظر نحو العلاء ومن عينيه الدموع تستدرّ الدموع، وبصوت تخفضه الغصّات الأليمة وتقطعه اللوعة القاسية صرخ قائلاً: رحماكِ يا عشتروت العظيمة ـ رحماكِ يا ربّة الحبّ والجمال، ترأفي بي وأزيلي يد الموت عن حبيبتي التي اختارتها نفسي بمشيئتك... لقد نبت أعاصير الأطباء ومساحيقهم، وباطلاً ضاعت تعازيم الكهّان والعرّافين، ولم يبقَ لي غير اسمك المقدّس عوناً ومساعداً، فاستجيبي تضرّعاتي، وانظري انسحاق قلبي وتوجّع عواطفي، وأبقي شطر نفسي حيّاً بجانبي، لنفرح بأسرار محبّتك ونسعد بجمال الشبيبة المعلنة خفايا مجدك. من هذه الأعمال أصرخ إليك يا عشتروت المقدّسة.

من وراء ظلمة هذا الليل أستجير بحنانك. فاسمعيني أنا عبدك ناثان ابن الكاهن حيرام الذي وقف عمره على خدمة مذبحك ـ قد أحببت صبية من بين الصبايا واتخذتها رفيقة فحسدتها عرائس الجان ونفثنَ في جسدها اللطيف لهاث علّة غريبة، ثمّ بعثنَ رسول المنايا ليقودها إلى مغاورهنّ السحريّة، وهو هو الآن رابض بقرب مضجعها، يزمجر كالنمر الجائع، مخيّماً عليها بأجنحته السوداء، مادّاً مقابضه الخشنة ليغتالها من بين ضلوعي. من أجل ذلك جئت إليك متذلّلاً، فارحميني وأبقيها زهرة لم تفرح بعد بجمال صيف الحياة، وطائراً لم يكمل تغريده مسرّته لمجيء فجر الشبيبة. أنقذيها من بين أظفار الموت فنبتهج بأغاني مدائحك،

مقدّمين المحروقات لمجد اسمك، ناحرين الضحايا على مذبحك، مالئين بالخمر القديمة والزيت المطيّب آنية خزائنك، فارشين بالورود والياسمين رواق هيكلك، محرقين البخور والعود الذكي الرائحة أمام تمثالك. خلّصينا يا ربّة المعجزات ودعي المحبّة تغلب الموت، فأنت ربّة الموت والمحبّة.

وسكت دقيقة كانت فيها لوعته تسيل دموعاً وتتصاعد تنهداً. ثمّ عاد فقال: «أواه! لقد تضعضعت أحلامي يا عشتروت المقدّسة وذابت حشاشتي ومات قلبي في داخلي والتهبت دموعي في عيني، فأحييني بالرأفة وأبقي لي حبيبتي». ودخل إذ ذاك عبد من عبيده واقترب منه ببطء وهمس في أذنه هذه الكلمات: «لقد فتحت عينيها يا سيّدي ونظرت حول مضجعها فَلَمْ ترَكَ ثمّ نادتك بلجاجة فجئت لأدعوك إليها».

فقام ناثان ومشى مسرعاً والعبد يتبعه. ولما بلغ صرحه دخل حجرة العليلة وانحنى فوق سريرها آخذاً يدها النحيلة بين يديه مقبّلاً شفتيها مراراً كأنّه يريد أن ينفخ في جسدها السقيم حياة جديدة من حياته، فحوّلت نحوه وجهها الغارق بين المساند الحريريّة وفتحت أجفانها قليلاً، وظهر على شفتيها خيال ابتسامة هي بقيّة الحياة في جسدها اللطيف، هي آخر أشعّة من نفسها المودّعة - هي صدى نداء القلب المتسارع نحو الوقوف. ثمّ قالت ومقاطع صوتها تشابه أنفاس طفل الفقيرة الجائع: «قد نادتني الآلهة يا عريس نفسي، وجاء الموت ليفصلني عنك، فلا تجزع لأن مشيئة الآلهة مقدّسة ومطالب الموت عادلة. أنا ذاهبة الآن

وكأسا الحبّ والشبيبة ما برحتا طافحتين في أيدينا، ومسالك الحياة الجميلة ما زالت منبسطة أمامنا. أنا راحلة يا حبيبي إلى مسارح الأرواح وسوف أعود إلى هـذا العـالـم لأنّ عشتـروت العظيمة ترجع إلى هذه الحياة أرواح المحبّين الذين ذهبوا إلى الأبديّة قبل أن يتمتّعوا بملذّات الحبّ وغبطة الشبيبة[1]. سوف نلتقي يا ناثان ونشرب معاً ندى الصباح من كؤوس النرجس ونفرح مع عصافير الحقل بأشعّة الشمس. إلى اللقاء يا حبيبي».

وانخفض صوتها وبقيت شفتاها ترتجفان مثل زهرة أقاح ذابلة أمام نسيمات الفجر، فضمّها حبيبها وبلّل عنقها بالعبرات، ولما قرّب شفتيه من ثغرها وجده بارداً كالثلج، فصرخ صراخاً هائلاً ومزّق ثوبه وارْتَمَى على جثّتها الهامدة وروحه المتوجّعة تراوح بين لجج الحياة وهاوية الموت.

في هدوء ذلك الليل ارتجفت أجفان الراقدين وجزعت نساء الحي وذعرت أرواح الأطفال إذ تبطّنت ملابس الدجى بنواح موجع وبكاء مرّ وعويل أليم متصاعد من جوانب قصر كاهن عشتروت.

ولما جاء الصباح طلب القوم ناثان ليعزّوه ويؤاسوه في مصيبته فلم يجدوه.

---

(١) كانت العرب في الجاهلية تقول إن الجنة إذ تعشقت فتى من الإنس منعته من الزواج وإن فعل سحرت عروسته أو أماتتها، وهذه الاعتقادات الشعرية ما برحت حية في بعض قرى لبنان.

وبعد أيّام جاءت قافلة من المشرق أخبر زعيمها أنّه رأى ناثان تائهاً في البريّة البعيدة هائماً مع أسراب الغزلان.

★ ★ ★

مرّت الأجيال ساحقة بأقدامها الخفيّة أعمال الأجيال، وبعدت الآلهة عن البلاد وحلّ مكانها آلهة غضوب يلذّ لها الهدم ويبهجها التخريب، فدُكّت هياكل مدينة الشمس الفخمة وتقوّضت قصورها الجميلة ويبست حدائقها النضرة، وأجدبت حقولها الخصبة، ولم يبق في تلك البقعة غير طللٍ بالٍ يعيد للذاكرة أشباح الأمس فيؤلمها، ويرجع للنفس صدى تهاليل المجد القديم فيحزنها.

ولكن الأجيال التي تمرّ وتسحق أعمال الإنسان لا تفني أحلامه، ولا تضعف عواطفه.

فالأحلام والعواطف تبقى ببقاء الروح الكلّي الخالد، وقد تتوارى حيناً وتهجع آونة متشبّهة بالشمس عند مجيء الليل وبالقمر عند مجيء الصباح.

٢
في ربيع سنة ١٨٩٠ لمجيء يسوع الناصري

توارى النهار واضمحلّ النور ولمّت الشمس وشاحها عن سهول بعلبك فعاد عليّ الحسيني[١] أمام قطيعه نحو خرائب الهيكل،

(١) الحسينيون قبيلة من العرب تسكن في سهول بعلبك.

وهناك جلس بين الأعمدة الساقطة كأنّها أضلع جنديٍ متروك مزّقتها الهيجاء وجرّدتها العناصر، فربضت أغنامه حوله مستأمنة بأنغام شبّابته.

انتصف الليل، وألقت السماء بذور الغد في أعماق ظلمته، فتعبت أجفان عليّ من أشباح اليقظة وكلّت عاقلته من مرور مواكب الأخيلة السائرة بسكينة مخيفة بين الجدران المهدومة، فاتّكأ على زنده، واقترب النعاس ولامس حواسه بأطراف ثنايا نقابه مثلما يلامس الضباب اللطيف وجه البحيرة الهادئة، فنسي ذاته المقتبسة والتقى بذاته المعنويّة الخفيّة المفعمة بالأحلام المترفّعة عن شرائع الإنسان وتعاليمه، واتّسعت دوائر الرؤيا أمام عينيه، وانبسطت له خفايا الأسرار، فانفردت نفسه عن موكب الزمن المتسارع نحو اللاّشيء ووقفت وحدها أمام الأفكار المتناسقة والخواطر المتسابقة، ولأوّل مرّة في حياته عرف أو كاد يعرف أسباب المجاعة الروحيّة المُلاحقة شبيبته. تلك المجاعة التي توحّد بين حلاوة الحياة ومرارتها. ذلك الظمأ الجامع بين تأوّه الحنين وسكينة الاستكفاء. ذلك الشوق الذي لا تزيله أمجاد العالم ولا تثنيه مجاري العمر. لأوّل مرّة في حياته شعر عليّ الحسيني بعاطفة غريبة أيقظتها خرائب الهيكل. عاطفة رقيقة هي الذكرى بمنزلة البخور من المجامر. عاطفة سحريّة قد انعكفت على حواسه انعكاف أنامل الموسيقي على صفوف الأوتار. عاطفة جديدة قد انبثقت من الشّيء، أو من كلّ شيء، ونمت وتدرّجت حتى عانقت كلّيته المعنويّة وملأت نفسه بشغف مدنف بلطفه

وتوجّع مستعذب بمرارته مستطيب بقساوته. عاطفة تولّدت من خلايا دقيقة واحدة مفعمة بالنعاس، ومن دقيقة واحدة تتولد رسوم الأجيال مثلما تتناسل الأمم من نطفة واحدة.

نظر علي نحو الهيكل المهدوم وقد تبدّل النعاس بيقظة روحيّة فظهرت بقايا المذبح المخدّشة واتضحت أماكن الأعمدة المرتمية وأسس الجدران المتداعية فجمدت عيناه وخفق قلبه، ومثل ضرير عاد النور إلى عينيه فجأة فصار يرى ويفكّر ويتأمّل - يفكّر ويتأمّل - ومن تموّجات التفكّر ودوائر التأمّل تولّدت في نفسه أشباح الذكرى فتذكّر - تـذكّـر تلـك الأعمـدة منتصبـة بفخـر وعظمة. تذكّر المسارج والمباخر الفضيّة محيطة بتمثال معبودة مهابة. تذكّر الكهّان الوقورين يقدّمون الضحايا أمام مذبح مصفّح بالعاج والذهب. تذكّر الصبـايـا الضـاربـات الدفـوف والفتيـان المترنّمين بمدائح ربّة الحبّ والجمال. تذكّر ورأى هذه الصور متضحة لبصيرته المتكهربة وشعر بتـأثيـرات غـوامضهـا تحـرّك سواكن أعماقه. ولكن الذكرى لا تعيد غير أشباح الأجسام التي نراها فيما غَبَرَ من أعمارنا ولا يرجع إلى مسامعنا إلاّ صدى الأصوات التي وعتها آذاننا. فأيّة علاقـة بيـن هـذه التـذكـارات السحريّة وماضي حياة فتى ولد بين المضارب، وصرف ربيع عمره يرعى قطيعاً من الغنم في البريّة؟

قام عليّ ومشى بين الحجارة المتقوّضة وتذكاراته البعيدة تزيح أغشية النسيان عن مخيّلته مثلما تزيل الصبية نسيج العنكبوت عن

بلّور مرآتها. حتى إذا ما بلغ صدر الهيكل وقف كأنّ في الأرض جاذباً يتمسك بقدميه؛ فنظر وإذا به أمام تمثال مهشّم ملقى على الحضيض، فركع بجانبه على غير هدى وعواطفه تتدفّق في أحشائه مثلما يتسارع نزيف الدماء من جوانب الكلوم البليغة، ونبضات قلبه تتكاثر وتتهامل مثل أمواج البحر المتصاعدة المنخفضة، فخشع بصره وتأوّه بمرارة وبكى بكاء أليماً لأنّه شعر بوحدة جارحة وبعاد متلف فاصل بين روحه وروحٍ جميلة كانت بقربه قبل مجيئه إلى هذه الحياة.

شعر بأن جوهر نفسه لم يكن غير شطر من شعلة متّقدة فصلها الله عن ذاته قبيل انقضاء الدهر.

شعر بحفيف أجنحة لطيفة ترفرف بين أضلعه الملتهبة وحول لفائف دماغه المنحلّة.

شعر بالحبّ القوي العظيم يشمل قلبه ويمتلك أنفاسه، ذلك الحبّ الذي يبيح مكنونات النفس للنفس ويفصل بتفاعيله بين العقل وعالم المقاييس والكمية، ذلك الحبّ الذي نسمعه متكلّماً عندما تخرس ألسنة الحياة ونراه منتصباً كعمود النور عندما تحجب الظلمة كلّ الأشياء. ذلك الحبّ، ذلك الإله قد هبط في تلك الساعة الهادئة على نفس عليّ الحسيني وأيقظ فيها عواطف حلوة ومرّة مثلما تستنبت الشمس الزهور بجانب الأشواك.

ولكن ما هذا الحبّ، ومن أين أتى، وماذا يريد من فتى رابض مع قطيعه بين تلك الهياكل الرميمة؟ ما هذه الخمرة السائلة

في كبد لم تحرّكها قط لواحظ الصبايا؟ وما هذه الأغنية السماويّة المتموّجة في مسامع بدوي لم يطربه بعد شدو النساء؟

ما هذا الحبّ، ومن أين أتى، وماذا يريد من عليّ المشغول عن العالم بأغنامه وشبّابته؟ هل هي نواة ألقتها محاسن بدويّة بين أعشار قلبه على غير معرفة من حواسه، أم هو شعاع كان محتجباً بالضباب وقد ظهر الآن لينير خلايا نفسه؟ هل هو حلم سعى في سكينة الليل ليسخر بعواطفه، أم هي حقيقة كانت منذ الأزل وستبقى إلى آخر الدهر؟

أغمض عليّ أجفانه المغلقة بالدموع ومدّ يديه كالمتسوّل المستعطف وارتعشت روحه في داخله ومن ارتعاشاتها المتواصلة انبثقت الزفرات المتقطّعة المؤلفة بين تذلّل الشكوى وحرقة الشوق، وبصوت لا يميّزه عن التنهّد غير رنّات الألفاظ الضعيفة هتف قائلاً:

«من أنتِ أيّتها القريبة من قلبي، البعيدة عن ناظري، الفاصلة بيني وبيني، الموثقة حاضري بأزمنة بعيدة منسيّة، أَطَيْفُ حوريّة جاءت من عالم الخلود لتبيّن لي بُطل الحياة وضعف البشر أم روح مليكة الجان تصاعدت من شقوق الأرض لتسترق مني عاقلتي وتجعلني سخرية بين فتيان عشيرتي؟ من أنتِ وما هذا الفتون المميت المحيي القابض على قلبي؟ وما هذه المشاعر المالئة جوانحي نوراً وناراً؟ ومن أنا وما هذه الذات الجديدة التي أدعوها (أنا) وهي غريبة عني؟ هل تجرّعْت ماء الحياة مع دقائق

الأثير فصرت ملاكاً أرى وأسمع خفايا الأسرار، أم هي خمر وساوس سكرْت بها فتعاميت عن حقائق المعقولات؟».

وسكت دقيقة وقد نمت عواطفه وتسامت روحه فقال: «يا من تبيّنها النفس وتدنيها ويحجبها الليل ويقصيها - أيّتها الروح الجميلة الحائمة في فضاء أحلامي، قد أيقظتِ في باطني عواطف كانت نائمة مثل بذور الزهور المختبئة تحت أطباق الثلج، ومرَرتِ كالنسيم الحامل أنفاس الحقول ولامست حواسي فاهتزّت واضطربت كأوراق الأشجار! دعيني أراكِ إن كنت لابسة من المادة ثوباً. أو مري النوم لأن يغمض أجفاني فأراكِ بالمنام إن كنتِ معتوقة من التراب. دعيني ألمسك. أسمعيني صوتك. مزّقي هذا النقاب الحاجب كلّيّتي واهدمي هذا البناء الساتر ألوهيّتي وهبيني جناحاً فأطير وراءك إلى مسارح الملإ الأعلى إن كنت من سكّانها أو لامسي عيني بالسحر فأتبعك إلى مكامن الجان إن كنت من عرائسها. ضعي يدك الخفيّة على قلبي وامتلكيني إن كنتُ حرياً باتّباعك».

كان عليّ يهمس في آذان الدجى كلماته المتناسخة عن صدى نغمة متمايلة في أعماق صدره وبين ناظره ومحيطه تنسل أشباح الليل كأنّها أبخرة متولّدة من مدامعه السخينة، وعلى جدران الهياكل تتمثّل له صور سحريّة بألوان قوس قزح.

كذا مرّت ساعة وهو فرح بدموعه، مغتبط بلوعته، سامع نبضات قلبه، ناظر إلى ما وراء الأشياء كأنّه يرى رسوم هذه

الحياة تضمحلّ ببطء ويحلّ مكانها حلم غريب بمحاسنه هائل بهواجسه، ومثل نبي يتأمّل نجوم السماء مترقّباً هبوط الوحي صار ينتظر مآتي الدقائق وتنهيداته المسرعة توقف أنفاسه الهادئة، ونفسه تتركه وتسبح حوله ثمّ تعود إليه كأنّها تبحث بين تلك الخرائب عن ضائع عزيز.



لاح الفجر وارتجفت السكينة لمرور نسيماته وسال النور البنفسجي بين دقائق الأثير، وابتسم الفضاء ابتسامة نائح لاح له في الحلم طيف حبيبته، فظهرت العصافير من شقوق جدران الخرائب، وصارت تنتقل بين تلك الأعمدة وتترنّم وتتناجى متنبّئة بمآتي النهار، فانتصب عليّ واضعاً يده على جبهته الملتهبة ونظر حوله بطرف جامد، ومثل آدم عندما فتحت عينيه نفخة الله صار ينظر مستغرباً كلّ ما يراه. ثمّ اقترب من نعاجه وناداها فقامت وانتفضت ومشت وراءه بهدوء نحو المروج الخضراء. سار عليّ أمام قطيعه وعيناه الكبيرتان محدّقتان إلى الفضاء الصافي وعواطفه المنصرفة عن المحسوسات، تُبيّن له غوامض الوجود ومستتراته وتريه ما غبر من الأجيال وما بقي منها بلمحة واحدة، وبلمحة واحدة تنسيه كلّ ذلك وتعيد إليه الشوق والحنين، فيجد ذاته منحجباً عن روح روحه انحجاب العين عن النور، فيتنهّد ومع كلّ تنهيدة تنسلخ شعلة من فؤاده المتقد.

بلغ الجدول المذيع بخريره سرائر الحقول فجلس على ضفته

تحت أغصان الصفصاف المتدلية إلى المياه كأنّها تروم امتصاص عذوبتها، وانثنت نعاجه ترتعي الأعشاب وندى الصباح يتلمّع على بياض صوفها. ولم تمرّ دقيقة حتى شعر بتسارع نبضات قلبه وتضاعف اهتزازات روحه، ومثل راقد أجفلته أشعة الشمس تَحَرَّكَ وَتَلَفَّتَ حوله فرأى صبيّة قد ظهرت من بين الأشجار تحمل جرّة على كتفها وتتقدّم على مهل نحو الغدير وقد بلّل النّدى قدميها العاريتين.

ولمّا بلغت حافة الجدول وانحنت لتملأ جرّتها التفتت نحو الحافة المقابلة فالتقت عيناها بعيني علي فشهقت ورمت بالجرّة ثمّ تراجعت قليلاً إلى الوراء وشخصت به شخوص ضائع وجد من يعرفه... مرّت دقيقة كانت ثوانيها مثل مصابيح تهدي قلبيهما إلى قلبيهما مبتدعة من السكينة أنغاماً غريبة تعيد إلى نفسيهما صدى تذكارات مبهمة وتبيّن الواحد منهما للآخر في غير ذلك المكان محاطاً بصور وأشباح بعيدة عن ذلك الجدول وتلك الأشجار، فكان كلّ منهما ينظر إلى الآخر نظرة الاستعطاف ويتفرّس فيه مستلطفاً ملامحه مصغياً لتنهداته بكلّ ما في عواطفه من المسامع، مناجياً إيّاه بكلّ ما في نفسه من الألسنة، حتّى إذا ما تمّ التفاهم وتكامل التعارف بين الروحين عبر علي الجدول مجذوباً بقوّة خفيّة واقترب من الصبيّة وعانقها وقبّل شفتيها وقبّل عنقها وقبّل عينيها فلم تبدِ حراكاً بين ذراعيه كأنّ لذّة العناق قد انتزعت منها إرادتها، ورقّة الملامسة قد أخذت منها قواها، فاستسلمت استسلام أنفاس الياسمين لتموّجات الهواء، وألقت

رأسها على صدره كمتعب وجد راحة. وتنهَّدَتْ تنهّدة عميقة تشير إلى حدوث انبساط في فؤاد منقبض وتعلن ثورات جوانح كانت راقدة فأفاقت، ثمّ رفعت رأسها ونظرت إلى عينيه نظرة من يستصغر الكلام المتعارف بين البشر بجانب السكينة ـ لغة الأرواح ـ نظرة من لا يرضى بأن يكون الحبّ روحاً في أجساد من الألفاظ.

مشى الحبيبان بين أشجار الصفصاف ووحادنيّة كليهما لسان ناطق بتوحيدهما، ومسمع منصت لوحي المحبّة، وعين مبصرة مجد السعادة، تتبعهما الخراف مرتعية رؤوس الأعشاب والزهور، وتقابلهما العصافير من كلّ ناحية مرتّلة أغاني السحر!

ولما بلغا طرف الوادي، وكانت الشمس قد طلعت وألقت على تلك الروابي رداءً مذهباً، جلسا بقرب صخرة يحتمي البنفسج بظلّها. وبعد هنيهة نظرت الصبيّة في سواد عيني علي وقد تلاعب النسيم بشعرها كأن النسيم شفاه خفيّة تروم تقبيلها، وشعرت بأنامل سحريّة تداعب لسانها وشفتيها رغم إرادتها، فقالت وفي صوتها حلاوة جارحة:

ـ قد أعادت عشتروت روحينا إلى هذه الحياة كيلا نحرم ملذّات الحبّ، ومجد الشبيبة يا حبيبي!

فأغمض عليّ أجفانه وقد استحضرت موسيقى كلماتها رسوم حلم طالما رآه في نومه، وشعر بأجنحة غير منظورة قد حملته من ذلك المكان وأوقفته في حجرة غريبة الشكل بجانب سرير ملقى

عليه جثمان امرأة جميلة أخذ الموت بهاءها وحرارة شفتيها، فصرخ ملتاعاً من هول المشهد ثمّ فتح أجفانه فوجد تلك الصبيّة جالسة بجانبه وعلى شفتيها ابتسامة محبّة وفي لحظها أشعة الحياة، فأشرق وجهه وانتعشت روحه وتضعضعت أخيلة رؤياه ونسي الماضي ومآتيه...

تعانق الحبيبان وشربا من خمرة القبل حتى سكرا ونام كلّ منهما ملتفاً بذراعي الآخر إلى أن مال الظلّ وأيقظتهما حرارة الشمس.

ملحق ثان:

رأي الدكتور روجيه الخوري البارابسيكولوجيّ في التقمّص

جاء في كتاب الدكتور روجيه الخوري «البارابسيكولوجيا في خدمة العلم»[١] :

هناك آلاف الحوادث التي ذكرت، يتخذها البعض تأكيداً لعقيدة التناسخ. غير أنه لا يوجد إلا القلائل من الباحثين في البارابسيكولوجيا، ممن يعتقدون بها؛ ومن اهم هؤلاء، الاستاذ بانرجي (Banergee) الهندي، الذي طُرد من الجامعة لعقائده غير المنطقية، والدكتور يان ستيفنسون (Ian Stevenson) الاميركي، الذي لا يزال يعمل في جامعة فيرجينيا (Virginia)، سعياً وراء تأكيد تلك العقيدة.

أ ـ مقدمة

يقول العالم الاميركي: إن احدى الحوادث التي تثبت صحة اعتقاده، حصلت في لبنان ويتّخذها من ابرز الادلة على ذلك. فلنحاول دراسة مثله المفصّل لنرى على أي أساس يعتمد في

(١) راجع أوّلاً القصّة السادسة المثبتة في كتابنا هذا، ثمّ اقرأ هذا الرأي القيّم.

ادعائه. يقول لنا « ستيفنسن » كما جاء في جريدة النهار ، نقلاً عن باري ماتش (Paris – Match) (في عددها ١٣ كانون الثاني ١٩٧٨)،.أن أصحاب الحوادث، غالباً ما يخشون ظروفاً مشابهة للظروف التي حصلت لهم في حياتهم السابقة؛ فقد يهرب البعض من الماء لأنهم ماتوا غرقاً في وجودهم السابق، أو يهربون من النوم لكونهم قتلوا سابقاً في اثناء استغراقهم في النوم...

لكن، هل أن مجرد الاعتقاد بالخوف من الماء، يؤكد صحة الغرق السابق آنذاك؟ ولماذا لا يشعر بهذا الخوف أيضاً أولئك الذين لاقوا المصير نفسه؟ وهل أن البعض يشعر فقط بذلك دون سبب والبعض الآخر لا يشعر به؟ من الضروري ايجاد حل للخوف من الاخطار وذلك عن طريق التحليل النفسي، بإشراف اختصاصيّين وخبراء في الامور البارابسيكولوجية، وليس في علم النفس فقط. إن العقد الشخصية قد تكون السبب وإن باطنياً في التصرف الغريب. وقد يكون تخوف الشخص ناتجاً عما رآه ونسيه، أو حلم به، أو حصل معه في صغره. وقد يعود السبب أيضاً إلى التقاط افكار غيره بشكل عام باطنياً، أو بارابسيكولوجياً.

فقبل أن نقول بالعيش سابقاً، علينا التأكد اولاً، أن جميع هذه الاحتمالات قد وضعت جانباً، وهذا ليس سهلاً. لقد كان ولا يزال منطقياً أن نصدق ما هو أسهل، مما هو اصعب وذلك في جميع الحقول.

ويتابع « ستيفنسن » قوله، مشيراً إلى أولئك الناس الذين ولدوا وعلى أجسادهم آثار تعود إلى حوادث حصلت في الماضي؛ فليس من السهل التأكد دائماً من أن الاثار هي نفسها الآن كما كانت بالأمس، خصوصاً إن لم تكن واضحة؛ وذلك أنه يصعب أحياناً معرفة نوعية هذه الآثار، ممّا لا يمكن الجزم أنها كانت تعود إلى سبب معين، كضربة سلاح أبيض مثلاً...

ويتابع « ستيفنسن » قوله معلناً أن الحادثة النموذجية، حصلت في « قرنايل » مع « عماد الاعور »، الذي ولد سنة ١٨٥٨ في المتن الاعلى. وتصرح أم عماد، أن ابنها عندما كان ابن سنة ونصف السنة، كانت تظهر عليه اشارات غريبة. فإن احضرت صينية « المتّة » ساخنة في الشتاء، كان يثور ويمسك بحديد الشباك ويبدأ بالصراخ. وتشرح الأم هذا التصرف قائلة، أن ابنها كان يحبّ في حياته السابقة، فتاة كان يشرب معها المتّة الساخنة.

ولكن نتساءل نحن: لماذا لا يتصرف عماد على هذا الشكل عند احضار اشياء اخرى للشرب أو للأكل؟ ألم يكن يتناول مع حبيبته مشروبات ومآكل أخرى؟ ألم يكن هناك ارتباط بينهما أقوى من الأكل والشرب، ليوحي إليه بذكرى الحبيبة وليثور دائماً عند ذكرها؟. ربما يمكننا الإجابة على تصرف عماد، لو كان أحد الأطباء موجوداً آنذاك ليراقبه بدقة. أكان يكره طعم « المتّة »، لدرجة أنه كان يصاب بعارض نفساني، إذ رأى صينية العشبة هذه؟ أكانت تسبب له ضرراً جسمانياً؟ أم كان يشكو من مرض نفساني يبرر صدمته عند رؤية الصينية؟ لا شك أن

الأمراض النفسانية توجد عند الصغار لخوفهم من اشياء أو لتخيّلهم اياها ظاهرياً وحتى باطنياً. ويمكن أيضاً الاعتقاد، أن عماد كان يلتقط بعض الافكار المضطربة المتعلقة بالمتّة، بفضل المعرفة البعدية، فيتأثر بها ويتصرف على الشكل المذكور.

وقد يمكن ان يكون لعماد عقدة نفسية أو ما شابه ذلك، على علاقة بصينية المتة، وهو صغير السنّ، فأصبحت الصينية العامل المهيّج لتصرفاته، كما كانت علامة الجرس، السبب المثير لكلاب «باڤلوڤ» (Pavlov)، فتأسس عنده نوع من الانعكاس المشترط، حسبه البعض، كدلالة على حياته السابقة.

هناك عدة اجوبة يمكن سردها، وعدة اسئلة يمكن طرحها وتقلل من حجة المتّة، كدلالة على المسألة التقمصية، وربما تبطلها نهائياً. وإن تابعنا قراءة جريدة النهار، لعلمنا أن عماد كان يقول: «انا اسمي ابراهيم بو حمزة، انا من الخريبة، بدي روح على خريبتنا» وكان يلعب مع اخوته ويضعهم على ظهره ويدعي أنه يقود سيارة قائلاً: «مين على المعاصر ينزل، ومين على الخريبة ينزل». كان يقول هذا الكلام ولم يكن قد سمع باسم المعاصر أو الشوف. وتعلمنا أمه أنها لم تكن تذهب إلى تلك المنطقة ولا تعرفها. وعُلم فيما بعد، أن ابراهيم بو حمزة، كان سائقاً على الخط...

إذ كان ابراهيم بو حمزة سائقاً على الخط وردّد أقواله عماد الأعور، فهذا يعني أن هذا الأخير التقط افكار الأول، ليس الآ.

وهذا الالتقاط الفكري، قد يتم عن طريق اناس آخرين وليس من الضروري اطلاقاً، ان يتم فقط بين شخصين. لا شك ان أهل «بو حمزة»، يعلمون بجملة ابنهم التي قد تنتقل منهم إلى أهل عماد مثلاً (التخاطر العفوي) ومن ثم إليه، فيتمكن هذا الأخير من معرفتها. فالتقاط الفكر بين الأهل، يتم باطنياً ولا يدرون به؛ أما عماد، فعندما التقط معنى الفكرة أظهرها وصرح بها، معبراً عن تفكير الأهل. لذا نقول، أن الافكار لا تضمحل في العالم، طالما هناك صلة بين المرسل (Emmetteur) والمستلم (Récepteur). وفي اللحظة المناسبة تظهر فجأة بفضل عوامل عديدة، مثلاً، تشابك الافكار. فيتوصل عماد إلى هذه اللحظة المناسبة، ويردّد ما كان يقوله «بو حمزة». وهكذا يكون تفسير «ما سمع به» بسيطاً عن طريق التحليل الفكري والسبل البارابسيكولوجية. وطالما هناك تفسير على هذا الشكل المتعلق بعالمنا، فلا داعي إلى الاعتقاد بعالم الموتى وقدرة الروح على التجسد مرة ثانية، الخ...

وقد يستطيع البعض تفسير اقوال عماد، إن أرادوا، بقدرة إلهية، أو شبه شيطانية، طالما أن الافتراضات مسموح بها للجميع. وهل من أحد يشك بقدرة الله على القيام بهذا العمل؟ فإن كان يستطيع ذلك، فلماذا لا يكون المسؤول عن تصرّف عماد بالفعل؟ ولماذا لا يمكننا الافتراض أيضاً، أن الشيطان نفسه هو الذي جعل عماد يدرك كل ما حصل مع بو حمزة؟ ولماذا لا يمكننا أيضاً ان نفترض فكرة «الارواح الحرّة» التي تعيش فيما بيننا، فتكون هي التي أعلمت عماد بأفعال «بو حمزة»؟ فكما

يرى القارىء، علينا ألاّ نأتي بافكار رخيصة، حسب اعتقاداتنا الخيالية، بل ان نفسر الاحداث التي تبدو لنا غريبة، بأسهل الطرق وأشدّها منطقاً.

ليس من الضروري ان يسمع الطفل بالمعاصر ليعرف بها. إن عقله الباطن هو الذي يعرفها وإن لم ترها عيناه. وليس من الضروري ايضاً، أن تعرفها أمه شخصياً ليدركها هو، بل يكفي أن تكون قد التقطت افكار أهل «بو حمزة» كما قلنا، أو افكار هذا الاخير عندما كان على قيد الحياة، او سمعت بها من أقوال الزوّار، وإن نسيتها فيما بعد.

وبتعبير آخر، يستطيع عماد أن يدرك المعلومات عن المعاصر، من أي مصدر كان.

إن حواسنا الخمس معروفة لدى الجميع، ومدروسة بخواصها بشكل علمي، ولكن حاستنا السادسة هي أعظم منها بكثير، وبفضلها نتمكن من شرح عوامل كثيرة كانت غامضة، ممّا يبعدنا عن الاعتقاد بأفكار اخرى، كتدخّل الأرواح أو التقمص. ولطالما كانت تستطيع لوحدها الادلاء بتفسيرات معقولة، علينا ألاّ نلجأ إلى افتراضات «غير أرضية».

قد يستغرب بعض القراء من احتمال انتقال الفكر بالسهولة التي أذكرها، ولكن يجب ان يعلم هؤلاء، أن استغرابهم ناتج عن عدم إلمامهم بالبارابسيكولوجيا لكونهم لأول مرة يقرأون مثل هذه الشروح. فكلما تعودّوا عليها، هانت بالنسبة لهم وأصبحت كافية

لتفسير كثير من الحوادث التي كانوا يفسرونها سابقاً عن طريق آخر غير علمي.

من السهل جداً ان نصدق أن المرء يملك قابلية خاصة هي حاسته السادسة وقوى باطنية مادية تمكنه من معرفة اشياء بعيدة عنه، من أن نصدق أن أرواح الموتى تعود فتتلبّث ثانية أو ثالثة جسم الانسان عند ولادته، وقد أكّد العلماء وجود هذه الخواص الانسانية في مئات من التجارب العلمية.

إن معرفة عماد بالاشياء ليست إلّا طريقة يستعملها عقله في ظروف خاصة به وعند الحاجة. مثالاً على ذلك؛ لنفترض كشافاً يسير على طريق سالكة، اعتيادية، ويصل إلى نهايتها، فيرى هوّة لا يمكن اجتيازها لمتابعة طريقه. ولنفترض أن الكشاف استطاع اجتيازها؛ عندئذ نستفتي رأي شخصين، فيكون الاجتياز، حسب رأي الاول، عائداً إلى مسلك سحري، خفي، فوق الهوة، يستطيع البعض رؤيته والسير فيه. ويكون الاجتياز، حسب رأي الثاني، عائداً إلى طرق طويلة، لكنها حقيقية، تبدأ من الحافة إلى أقصى الهوة وتكون متشعّبة وضيقة ومتعرجة، فتارة يجب تسلّقها وتارة أخرى التزحلق عنها، ولكن توصلنا أخيراً إلى القسم الثاني من الطريق المقطوعة؛ فالطريق الأولى هي طريق التقمّص والطريقة الثانية هي طرق البارابسيكولوجيا، (وإن كان التشبيه لا يصح تماماً). فبينما لا يمكن تصديق الأولى لشدة غرابتها وإن أوصلت الكشاف إلى هدفه، فالطريق الثانية أسهل للتصديق، ولو كانت أطول مسافة؛ فالتشعبات توصل منطقياً إلى الطريق في القسم الثاني

من الهوة، بينما « المسلك السحري الفضائي »، ليس إلاّ افتراضاً خيالياً لشرح اجتياز الهوة؛ وذلك لعدم معرفة الطرق الثانية الحقيقية الواقعية.

ويعلمنا الدكتور الاميركي أنه قابل عماد، عندما كان هذا الاخير طفلاً في الرابعة من عمره. وليتحقق من احداثه، أخذه بصحبة والده وأحد المترجمين إلى خريبة الشوف. وقبل الذهاب، راحت ام عماد تقول له: « يا أمي هالناس رايحين على مسؤوليتك وانت بدّك تدلهم »، قال: « ما تخافي، لمّا بوصل على مفرق المعاصر، بطلع حتى أوصل إلى ساحة الخريبة والسنديانة، من هونيك البيت وله درجتان ».

وعندما وصلوا إلى المكان، يقول والد عماد: « عندما وصلنا إلى الساحة، تركنا وراح يركض ونحن وراءه. عرف البيت فدخله ».

أول ما يلفت نظرنا، هو شدة الايحاء الذي تزوّد به الام ولدها. والولد المتقبل « مشروع التقمص »، يزداد شغفاً به. فيحسن الاشارة إلى موضع البيت بواسطة الادراك العقلي للاشياء (Claivoyance). وهذه الظاهرة هي من احدى الظواهر الأكثر اثباتاً في علم البارابسيكولوجيا، وإن بالغ الناس في نتائجها واستعمالها في بعض الاوساط العسكرية أو الأثرية أو التجارية. فالاختبار الذي أجراه البارابسيكولوجيون، خاصة في أميركا في جامعة « ديوك »، استناداً إلى علم المرجحات، يكفي لتثبيت هذه الظاهرة كحقيقة بارابسيكولوجية...

وضع الرئيس الأميركي بنجامين فرنكلين نصًّا كان يريد حفره على قبره، وفيما يلي تعريبه:

هنا يرقد بنجامين فرنلكين
صاحب المطبعة
كغلاف كتاب قديم نفدت طبعته، وامّحت عناوينه، وزالت نقوشه، وبدأ السوس ينخر صفحاته، لكن الكتاب لم يفقد. نحن نعرف ذلك، وسيظهر ثانيةً بطبعة جديدة أنيقة يعدّها طابع جديد.

قال الشاعر الإنكليزي ماسفيلد ما تعريبه:

إنّ الإنسان عندما يموت تعود روحه إلى الأرض مزيّنة بثوب جديد من اللحم تلدها أمّ ثانية جديدة والروح القديمة تستمرّ في طريقها بواسطة أعضاء متينة ودماغ نيّر جليّ واضح.

١ - فهرس المصادر والمراجع

أوّلاً بالعربيَّة:

- التقمّص. أمين طليع. منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط ١ ، ١٩٨٠ م.
- التقمّص وأسرار الحياة والموت في ضوء النّصّ والعلم والاختبار. محمد خليل الباشا.
- التقمّص أهو حقيقة أم خيال. قيس غوش. جروس برس. طرابلس (لبنان)، ط ١ ، ١٩٩١ م.
- التقمّص. الذبياني (جميل ذبيان). منشورات المؤلف، لا طبعة، لا تاريخ.

ثانياً بالأجنبية:

- Ian Stevenson. Twenty cases of reincarnation.
- Joseph Millard. L'homme de mystère Edgar Cayce.
- A. Nataf. La réincarnation et ses mystères.

- Toumas Sogro: There is a River.
- Papus (Gérard Encausse). La réincarnation. France. 1980.
- Besant, Annie. La sagesse antique, exposé général de l'enseignement théosophique, Paris, 1972.

٢ ـ فهرس المحتويات